جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص تاريخ الأدب

المستوى الثالث – كلية اللغة العربية

1433هـ الفصل الدراسي الثاني

التعليم عن بعد

بسم الله الرحمن الرحيم

***

إخوتي أخواتي الزملاء والزميلات في

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

عمر الله أوقاتكم بالخيرات والمسرات

ويسر لي ولكم سبيل العلم النافع والعمل الصالح

إليكم ملخصا شاملا من اجتهادي أثناء مذاكرتي لمادة:

* تاريخ الأدب – ادب221 *

والتي قام بشرحها : د . صالح المحمود

في المحاضرات المسجلة المقررة في منهجنا

راجية لي ولكم التوفيق والعون السداد

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (1)

إشارة حول ما سبق دراسته

- في الفصلين الماضيين درستم مادة تاريخ الأدب بشكلها العام ، فلم تدرسوا الشعر فقط أو النثر فقط ، وإنما بمفهومه الواسع بشعره ونثره .
- الأدب العربي يمثل منظومة معرفية متكاملة واحدة، فلا نستطيع أن نفهم العصر العباسي بشتى تحولاته ومراحله وأدبه ونصوصه وشخوصه بمعزل عن ما سبقه من العصور .
- درستم الأدب في العصر الجاهلي وكانت الدراسة خاصة بالشعر والنثر وليس بأحدهما دون الآخر، ودرستم الأدب في عصر صدر الإسلام وفي عصر بني أمية ، وكانت التحولات التاريخية والثقافية والاجتماعية في العصور الثلاثة امتدادًا لتحول تاريخي أكبر شهده العصر العباسي سنة 132هـ .
- كان الأدب في العصر الجاهلي بداية تاريخية حقيقية للأدب العربي ، وكان الشعر في تلك الفترة هو سيد الموقف .
- أما النثر فحضوره في العصر الجاهلي لم يضاهي ولم ينافس حضور الشعر لأسبابٍ سبق أن وقفتم عليها، مع هذا كانت الخطابة حاضرة وقوية ومؤثرة ، وكانت الرسائل شبه معدومة في تلك الفترة ؛ لأن العرب كانت أمة شفاهية ، وكان هناك أجناس نثرية تحضر بشكل باهت ، أبرزها ما يعرف بسجع الكهان الذي عرف في تلك الفترة .
- في عصر صدر الإسلام تطور النثر ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمد عليه في كلماته وخطبه ، شهد النثر حضورًا لا بأس به وتحرك بشكل أكبر مما كان عليه في العصر الجاهلي وذلك من خلال الرسائل التي كان يرسلها النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك وأمراء المناطق لدعوتهم إلى الإسلام، والخطب التي كانت من أجود أجناس النثر العربي ، وامتد الأمر في خطب خلفائه الراشدين .
- كان الشعر حاضرًا وما زال سيد الموقف في عصر صدر الإسلام خاصة حينما اشتدت الخصومة بين أنصار الدين الإسلامي وأعدائه فشهد التاريخ تلك النقائض من الجانب الإسلامي شعراء كبار كحسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحه، و كعب بن مالك . في الوقت الذي كان أبو سفيان وابن الزبعره وغيرهم يهجون الدين الجديد ، والنبي لم يكن شاعرًا، ولكنه كان خطيبًا مفوهًا وكذلك خلفاؤه من بعده.
- طويت صفحة عصر صدر الإسلام باستشهاد الإمام علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- سنة 41 هـ ، وابتدأ عصر بني أمية الذي تطور الأدب يه تطورًا لافتًا ، وشهد حضورًا كبيرًا أعاد إلى الأذهان حركة الشعر في العصر الجاهلي ، وشهد العصر حضورًا لافتًا لشعراء النقائض ، كجرير بن عطية ، والفرزدق همام بن غالب ، والأخطل غياث بن غوث.
- كذلك شهد هذا العصر مدارس شعرية متنوعة ، كمدرسة الغزل العذري التي يمثلها قيس بن الملوح (مجنون ليلى) ، ومدرسة الغزل الحسي التي يمثلها (عمر بن ربيعة) ، وربما كان لها بذورها وبدايتها في العصر الجاهلي، لكنها تطورت كثيرًا مع الترف والثراء الذي شهدته بعض بيئات العصر الأموي، كبيئة الحجاز ، كذلك كان لشعراء السياسة حضورهم بقوة فشهدنا شعراء مخلصين للأمويين ، وشهدنا شعراء ينتمون لأحزاب سياسية أخرى، فكان لدينا شعراء للزبيريين كعبيد الله بن قيس الرقيات، وشعراء لخوارج كقطري بن الفجاء وغيرهم .
- النثر في عصر بني أمية كان حاضرًا، لكن حضوره لا يقارن بحضور الشعر ، فقد حضر النثر في خطب خلفاء بني أمية كعبد الملك بن مروان ، وكذلك المذاهب والأحزاب السياسية الأخرى كان لها حضور مهم على مستوى الخطابة وبالتحديد الخوارج كان حضورهم في خطبهم قويًا ومؤثرًا ، وكانت الخطابة سيدة النثر كما كانت في عصر صدر الإسلام وفي العصر الجاهلي ، فبرزت أسماء تنتمي لبني أمية كالحجاج بن يوسف الثقفي ، و زياد بن أبيه صاحب البتراء الخطبة مشهورة.
- كذلك تطورت الرسائل في عصر بني أمية ، وأصبح هناك ديوان يعرف بـ (ديوان الكتاب) و نظمت مسألة الكتابة ، لذلك شهدت نهاية العصر حضورًا لافتا لكُتاب الرسائل الديوانية التي تشبه المراسيم الملكية ، والأميرية ، والسياسية اليوم ، يقوم عليها في تلك الفترة رجال كانوا غاية في القدرة والفصاحة والبلاغة ، ونستدعي هنا شخصية مهمة شهدت نهايات العصر الأموي ، وهي : عبد الحميد الكاتب الذي يقال عنه : "بدأت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد"

* في هذا المستوى سنخص الدراسة بجنس إبداعي واحد وهو (النثر في العصر العباسي).

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (2)

مقدمة حول العصر العباسي

*** العصر العباسي .**

بدأ مع سقوط الدولة الأموية سنة 132 هـ ، وانتهى سنة 656 هـ .
لكن هذا التاريخ لا يمثل السقوط التاريخي الحقيقي لدولة بني العباس ، فقد انتهت في فترة مبكرة حينما تحولت إلى مجموعة من الدويلات الصغيرة التي كانت تحكم بشكلٍ مستقل، وإن كانت تدعو إلى الخلافة العباسية.
من أعلام الدولة العباسية الكبار : أبي جعفر المنصور، وهارون الرشيد ، والمهدي وغيرهم من الأسماء التي كان حضورها لافتا وأثرت تأثيرًا كبيرًا في الحركة السياسية والثقافية للعالم في تلك الفترة.

*** وقفات مع تاريخ الدولة العباسية .**

الذي يقرأ تاريخ الدولة العباسية خاصة العصر العباسي الأول ، يقف أمام منجزات تاريخية حضارية لم تكن معهودة من قبل ، وربما لم تتكرر إلى اليوم بعدهم ، فخلفاء بني العباس مع استقرار الدولة وانتقالها إلى بغداد أثروا تأثيرًا كبيرًا في تطوير المجتمع المسلم ، وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية في تلك الفترة ، ودعم وتشجيع الثقافة بشكل كبير من خلال عنايتهم بالعلماء والأدباء والمبدعين ، وطباعة الكتب والتأليف وحضور المكتبات ، كمكتبة (بيت الحكمة) التي كانت تمثل مستودعًا تاريخيًا لذخائر المعرفة والعلوم المتنوعة ، فقد تطور العلم والمعرفة تطورًا ربما لم يسبق من قبل ولا من بعد، ولا شك أنه عاد بانعكاس حضاري ومعرفي جيد على الدولة وعلى الناس.
أبرز الأسماء الإبداعية في العصر العباسي : أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي ، والمعري، من الناحية الشعرية ، وابن المقفع ، والجاحظ ، وأبي حيان التوحيدي ، وبديع الزمان ، والحريري من الناحية النثرية ، وغيرهم.
- الخلافة العباسية التي كانت تقرب الأدباء والمبدعين وتحتفي بهم وتجزل لهم العطاء،وإجزال العطاء أحيانًا يكون لأسباب سياسية ؛ لأن الشعر و النثر من الوسائل الإعلامية الأكثر تأثيرًا في تلك الفترة ، أو لأنهم كانوا يعشقون الأدب ، أو لأنهم القرشيون الخالصون بعروبتهم يعلمون جيدًا تأثير الأدب .
- الامتداد التاريخي الطويل لعهد العباسيين ، فترة خمسة أو ستة قرون متوالية من عمر الدولة العباسية ، يجب أن نقف عنده وقفة صادقة ، لذلك نخصص في دراستنا فصلًا كاملًا للنثر في العصر العباسي ؛ لضخامة المادة وامتداد الزمن وجودة المنجز سواء في الشعر أو النثر ، فلدينا عدد هائل من الشعراء، ويروى في العصر العباسي الأول أن لدينا ألف ألف شاعر (مليون) شاعر بلغة اليوم .

*** النثر في العصر العباسي .**

- كان للنثر له حضوره اللافت وبالذات حينما ترجمت المنجزات المعرفية الفارسية واليونانية ، وأصبح العرب أكثر قراءةً واطلاعًا وتأملًا وتمعنًا ، جعلهم يعيدون صياغة ذاكرتهم المعرفية ويكتبون كثيرًا من الروائع ، سواء في المؤلفات أو في الرسائل المختلفة.
- كان للنثر حضورًا لافتًا في قصور الخلفاء العباسيين ؛ حيث كانوا يأتون لأبنائهم بمربين على قدر عال من الثقافة والقدرة على الكتابة ، وكانت دواوين الرسائل أو الرسائل الديوانية أشبه بالمراسيم التي تصدر من القصر الخلافة لتعمم على الإمارات والمناطق .
- كان للترجمة حضورها اللافت في صناعة كثير من المنجزات الإبداعية النثرية التي قرأناها ، من أهمها : (قصص كليلة ودمنة) التي ترجمها ابن المقفع إلى العربية وهو الكاتب المشهور في العصر العباسي ، فالترجمة بحد ذاتها من خلال أسماء لديها ثقافتها العربية وثقافتها الأخرى استطاعت أن تنقل لنا كثيرًا من منجزات وإبداعات ومعارف الآخرين؛ سواء في فارس، أو اليونان، أو غيرهم ، وكاتب مبدع كابن المقفع لا يترجم فقط، بل يصنع الفرق بإبداعه وثقافته التي تنعكس على الترجمة.
- كذلك الجاحظ إمام النثر العربي بشكل عام ، في كتابه (البيان والتبيين) ، و(الحيوان) ، و(البخلاء) ، ورسائله المختلفة .
- في العصر العباسي تحول النثر العربي إلى المدونات ، والقدرة على تنظيم الأفكار وطرح كثيرٍ من الرؤى وكنا نفتقد هذا الأمر في العصور السابقة ، فقد كانت الخطابة منذ العصر الجاهلي مرورًا بعصر صدر الإسلام وعصر بني أمية هي سيدة النثر ، لكن في العصر العباسي كانت الكتابة سيدة الموقف ، مع وجود الخطابة والخطاء المفوهين .
- المقامات تمثل تحولًا إبداعيًا جديدًا في حركة النثر العربي بحضور اسمين لافتين في العصر العباسي وفي العربية كلها وهما : بديع الزمان الهمداني أولًا ، ثم الحريري بمقاماتهما الشهيرة التي اعتمدت على القدرة الإبداعية الهائلة في الصياغة المسجوعة والطرافة، وظلت مقاماتهما هي الأشهر والأكثر قراءة وتأثيرًا في حركة النثر العربي.

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (3)

الترجمة وأسياد الترجمة في العصر العباسي

- العصر العباسي يمثل الحلقة الأقوى في تاريخ النثر العربي؛ سواء فيما قبل أو فيما بعد، ويظل بأعلامه وخصائصه العامة يمثل (العصر الذهبي) للنثر العربي .

يقول شوقي ضيف : "إن النثر العربي تطور تطورًا خطيرًا وحملت أوانيه الثقافات الأجنبية المختلفة من يونانية وفارسية وهندية" يلمح ويشير إلى الترجمة التي تطورت تطورًا لافتًا في عصر بني العباس و تحديدًا في عهد الرشيد والمهدي ،

فقد كان للترجمة علامة فارقة في صياغة أسلوب جديد للنثر العربي ، استوعبها هؤلاء فأثرت على منجزهم انعكاسًا علميًا ومعرفيًا مؤثرًا.

- اللغة العربية كما يقول شوقي ضيف فيها من الطاقات المستكنة ما تستطيع معه أن تحمل الثقافات المختلفة ولا تتأبى عليها ، ولذلك اشتهر كثير من الأدباء البارزين بجهدهم في الترجمة ، وابن المقفع وحده يمثل ظاهرة فريدة ولافتة في الترجمة من خلال عمله وإبداعه وإنجازاته.

- الدولة العباسية رعت الترجمة واهتمت بها من خلال الخلفاء العباسيين في العصر الأول ، لذلك يقال إن العصر العباسي الأول خاصة عهد المنصور والرشيد والمهدي يسمى بـ "عصر النقل" ، أو "عصر المعلومة" ، أو "نقل المعلومات" ؛ لأن هذا العصر شهد حركة للترجمة غير مسبوقة ، ونقلت كثير من المعارف؛ سواء فارسية، أو هندية، أو يونانية، أو غيرها إلى العربية ما بين (ترجمة حرفية) لا يتدخل فيها الكاتب صياغةً ولا تغييرًا، وبين ترجمة أخرى أهم وأعلى قيمة وهي (الترجمة المعنوية) التي تنقل فيها الفكرة لكن اللغة والصياغة بلغة المترجم الذي هو في الغالب من من المفوهين والبلغاء الذين يستطيعون إعادة صياغة المعلومة بشكل جيد.

- كان من سلبيات هذه الترجمة : اضطراب اللغة والتكلف والتمنطق ، فتكون اللغة ثقيلة ، لكنها كانت مفهومة واضحة خلاقة.

- كثير من الذين عنوا بالترجمة كانوا يهتمون بلغتهم العربية الأم ، وذلك بمحاولتهم إعادة صياغات المعلومات بشكل أكثر علمية و قبولا لدى المتلقين بشكل عام.

أبرز المترجمين في العصر العباسي :

ابن المقفع و حنين ابن إسحاق الذي قال عنه شوقي ضيف : اتبع منهجًا في ترجمته فكان يجمع من كتاب المترجم كل ما يمكنه من مخطوطات ويعارض بينها كأنه يحقق بلغة اليوم ، وكان يقابل بين العبارات والتراكيب ولجمل، ليستخلص أبرزها وأجملها وأكثرها دقة في التعبير ، وهذا بلا شك يمثل جهدًا ضخمًا كبيرًا .

- كانت الترجمة إلى العربية من لغات مختلفة أبرزها : الفارسية والهندية واليونانية والسريانية ، تمثل انتقالًا تاريخيًا ومفصليا لحركة العلم في عصر بني العباس ؛ حيث أخذ المترجمون يتمثلون المعاني التي ينقلونها ويصيغونها ثم يترجمونها إلى العربية الفصيحة لا تشوبها شوائب الترجمة الحرفية القديمة ، ولا ريب أن معرفة هؤلاء بخصائص اللغة العربية وبلاغتها بشكل عام كانت تعينهم وتزودهم بكثير من البدائل والمفردات التي يترجمون لها ، فكان علماء اللغة والبيان حاضرين بقوة في حركات النقل والترجمة.

* وقفة مع أسياد المشهد النثري في العصر العباسي خاصة في مسألة الترجمة والنقل .

عبد الله بن المقفع.

- فارسي الأصل لكنه عربي النشأة ، رعاه والده الذي لم يكن مسلمًا ، كان مجوسيا على دين الفارسية ، لكنه ثقف ثقافة عربية وإسلامية ؛ لأنه أدخل الكتاب، فقد كان والده حريصًا على تربيته وتعليمه، ولم يجد خيرًا من الكتاب في المساجد ليعلمه العلوم العربية والإسلامية ، فقد كان يعلم أن القرآن المصدر الأهم من مصادر الإعجاز البياني ، وهذا يعكس مدى اهتمام والده به ، وحينما تقدم به السن قليلًا ألحقه بحلق العلم في بلاد الشام ؛ لأنه وجد فيه قدرة غير عادية على الكتابة والفصاحة .

تتلمذ على يد أبرز كتاب نهايات العصر الأموي : عبد الحميد الكاتب الذي ترك أثرًا كبيرًا في ابن المقفع وفي كثير من كتاب العصر العباسي .

- كان أبوه من أصحاب النفوذ إلى حد ما ؛ لأنه كان يعمل مع الحجاج بن يوسف الثقفي أيام العصر الأموي، وكان يشرف على الخراج، أو ما يسمى اليوم بالضرائب، أو ما تجنيه الدولة من التجار وغيرهم ، وعمله قربه من الحجاج بن يوسف الثقفي وبالتالي فتح لابنه كثيرًا من النوافذ والأبواب المغلقة ليقترب من قصور السياسة ويستفيد على مستوى علمي من كبار الكتاب في تلك الفترة.

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

ولد ابن المقفع في كنف الدولة الأموية : سنة 106 هـ ، والتي سقطت سنة 132 هـ بعد ربع قرن ربما من ولادته،حيث كان عمره : 25 أو 26 سنة تقريبا ، فترة نضجه على مستوى القدرة الكتابية وكانت الفرصة مفتوحة له.

أول الأعمال التي وليها ابن المقفع في عهد الدولة العباسية : كاتبا خاصا في ديوان عبد الله بن علي عم الخليفة أبو جعفر المنصور، وأعلن إسلامه على يد : عيسى بن علي وعرف عنه بعد إسلامه أنه رجلًا محافظ يتخلق بأخلاق الإسلام حتى قبل إسلامه.

- أسلم ابن المقفع ، وأصبح كاتبًا لديوان عبد الله بن علي ، ثم بعده لديوان عيسى بن علي وكلهم من أعمام المنصور.
- قربه من السياسة والخليفة لم يكن كافيًا ، فقد كان موسوعيًا حافظًا لدرجة أنه قيل : "لم يوجد في الفرس من يحفظ كابن المقفع" ومع هذا التعميم الذي يبدو مبالغًا فيه إلا أنه يعكس مدى حفظه ، إضافة إلى معرفته باللغات الأخرى خاصة لغته الأم الفارسية، والتي نقل عنها كثير من المعارف ، و(كليلة ودمنة) في أصلها الهندي نقلت إلى الفارسية ثم إلى العربية عن طريق ابن المقفع.

أبرز المقومات التي ساعدت ابن المقفع ليكون كاتبًا بارزًا في العصر العباسي :

1- نضجه المعرفي وتتلمذه على يد عبد الحميد الكاتب في شبابه.
2- اقترابه من قصور الخلافة كاتبًا لعبد الله بن علي ثم لعيسى بن علي .
3- موسوعيتة وسعة معرفته وثقافته ،حيث كان قارئا غزيرا.
4- قدرته العالية على الحفظ، ، والحفظ يسعف الإنسان حتى لو لم يكن مثقفًا .
5- خلقه العالي قبل إسلامه وبعده ، فقد كان وقورًا صامتًا .

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (4)

مقتل عبد الله بن المقفع ووقفة مع كتابيه "الأدب الصغير" و"الأدب الكبير"

وفاته :

توفي ابن القفع : سنة 140 هـ ، لم يعش طويلًا ، فقد مات شابا لم يتجاوز السادسة والثلاثين، وعمر الإنسان لا يقاس بالسنوات وإنما بالمنجزات والأعمال، وابن المقفع يمثل حياةً طويلة من الإبداع والتأليف .

الآراء في قضية مقتله :

1- قتل ؛ لأنه كان يدعو إلى الشعوبية، والذين اتهموه تهمة الشعوبية انطلقوا من كونه فارسي الأصل، والشعوبية هي مذهب تحول من السياسي إلى الاجتماعي إلى الأيدلوجي ، وهو المذهب الذي يحاول أن يفضل الفرس على العرب ، ويعدهم مجرد أتباع للفرس.

- الشعوبية ظهرت في بداية العصر العباسي ، واتهم بها عدد من الأعلام وقتل عدد منهم بسببها وسواء أصدقت أم لم تصدق، فإن ابن المقفع اتهم بها بالشعوبية وقتل بناءً عليها ؛ لأنه حاول كما يقولون أن يعارض القرآن الكريم بآيات من عنده ، وهذه مستبعدة جدًا ؛ لأن من يقرأ سيرته وثقافته ويقترب من عقله يستبعد ذلك من ناحية القرآن الكريم.

2- قتل ؛ بسبب الصراع الذي دار بين أبي جعفر المنصور وبين عمه عبد الله بن علي الذي كان ابن المقفع كاتبًا عنده بعد أن قضى المنصور على ثورة عمه عبد الله بن علي ، وفر ابن المقفع إلى بلاد خرسان ، وحاول إخوانه أن يشفعوا له فعفا عنه المنصور كما تقول الروايات وأمنه وجعل له كتاب أمان ، ودُعي ابن المقفع لكتابة هذا الكتاب، وكان ابن المقفع كما تقول الروايات يجل ويحب عبد الله بن علي فأراد أن يستوثق له أكثر مما يجب ، فكتب في (الأماني) أيمانا ونذورًا لا يمكن أن يفي بها المنصور ولا يمكن أن يرجع عن ذلك الأمان، لذلك حنق عليه وكاد له ، وأوعز على عامله في البصرة سفيان بن معاوية المهلبي بأن يقتله فقتله ؛ لأن سفيان قد امتلأ صدره غيظًا وحنقًا على ابن المقفع لأسباب شخصية بينهما فقتله بطريقة بشعة وأحرقه بالنار . وهو الرأي الأقرب وإن كانت روايات لا ندري عن صدقها.

3- قتل ؛ لأنه كان متشيعًا ويريد أن ينال من أبي جعفر المنصور ، في (كليلة ودمنة) الكتاب الذي ترجمه إلى العربية.

كلها روايات لا دلالة على صدقها ، لكن الجامع فيما بينها هو أن ابن المقفع قتل شابًا والذي تسبب في قتله هو أبو جعفر المنصور، سواء؛ لأنه كان شعوبيًا، أو شيعيًا، أو شارك في ثورة عبد الله بن علي ضد أبو جعفر المنصور .

أبرز مؤلفات ابن المقفع : (كليلة ودمنة) ، (الأدب الصغير) ، (الأدب الكبير) ، (رسالة الصحابة) ، (الدرة اليتيمة) .

"الأدب الصغير"

رسالة قصيرة لا تتجاوز ثلاثين صفحة، تدور موضوعاتها حول عدد من الوصايا والقضايا التي تنظم شئون الحاكم والرعية ، وهي رسائل سياسية في مقامها الأول لكنها إنسانية في مجملها العام ، وهو كتيب مطبوع ومدمج مع كتابه "الأدب الكبير".

أبرز خصائص " الأدب الصغير :

1- ضرب الأمثلة لتبيين المقاصد .

وهي من السمات والخصائص التي تميز بها أسلوب ابن المقفع في كتاباته؛ لأنه رجل إقناعي ، يقنع بمنطقه القوي وبحجته الداحضة.

2- كثرة التشبيهات.

وهذا الأمر يمثل منحى خلاقًا مقنعًا في كتاباته .

3- اعتماده على الجمل القصيرة .

وهو أسلوبه بشكل عام أيضا.

4- إيثاره للحكم والإكثار منها.

دائمًا ما يحاول أن يلخص تجاربه في الحياة من خلال حكم ؛ سواء من خلال ثقافته الفارسية، أو ثقافته العربية ، أو ثقافاته المتعددة.

5- الوضوح والبعد التام عن التكلف والتعقيد.

وهي من خصائص أسلوب ابن المقفع ، رغم أنه في بعض كتبه ثقافته الفارسية تؤثر فيه ، إلا أنه استطاع أن يتخلص من أي آثارٍ للكلفة، أو العجمة ؛ لأنه ثقف العربية بشكل جيد وواعٍ ، فحقق أكبر قدرٍ ممكن من قدرات الفصاحة والبلاغة والبيان بشكل عام.

6- الاعتماد على التصوير المضاد .

وهو الأمر الذي يتقاطع مع التشبيه، لكنه يعطيك قدرة إقناعية كبرى حين يصور لك الليل ثم يصور لك النهار ، يصور لك الضوء ثم يصور لك الظلام ، فيعطيك المتضادات ليدلل على ما يطرح من أحكام المعارف والقضايا ، وهو ما تميز به أسلوبه في الأدب الصغير والأدب الكبير وكليلة ودمنة تحديدًا.

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

"الأدب الكبير"

كتاب واضح خالص يدور حول العلاقة التي تربط الراعي بالرعية ، وينظم شئون هذه العلاقة ، ويفيد فيه من حكم الفرس وآثارهم ووصاياهم ، ويقدم خلاصة تجارب فارسية كثيرة متعددة ، يحاول أن يعكسها على الحاضر العربي في وقته من خلال الخلافة العباسية وقبل ذلك الخلافة الأموية.

الفرق بين "الأدب الكبير" و" الأدب الصغير" :

1- "الأدب الكبير" أكبر حجما ، حيث يحوي 100 صفحة ، لذلك قلنا أن كتاب " الأدب الصغير" رسالة .

2- "الأدب الكبير" أكثر ترتيبا وتنظيما ودقة ، مغريًا للقراءة ؛ لأنه كان مقسمًا إلى بابين رئيسين :

الباب الأول : أسماه باب السلطان : عرض فيه كل ما يخص الحاكم من شئون وقواعد تعينه على تعامله وسياسته مع الرعية، وكيف يختار وزراءه وحاشيته ومجالسيه ومخالطيه ، من خلال ثقافة عالية وقراءة متعمقة و تجارب .

الباب الثاني: أسماه باب الصديق : يعرض فيه للصداقة ، وهو أجمل أبواب الكتاب ؛ لأنه يعرض فيه قضايا إنسانية مهمة ، كيف ينتقي المرء صديقه ، ومواصفات الصديق الوفي ، ومواصفات الصديق الذي ليس له من الصداقة إلا اسمها.

فهو باب مهم ثري ممتع للقارئ العادي ، فيما كان الباب الأول نخبويًا خاصًا بالحاكم وقضاياه وشؤونه وطريقة اختياره لدولته ووزرائه.

رغم أن "الأدب الصغير" رسالة مصوغة صياغة جيدة ، كانت التشبيهات والجمل القصيرة مستبدة فيه والحكمة حاضرة ، إلا أنه لم يكن مرتبًا ومنظمًا بالترتيب الذي شهده كتاب "الأدب الكبير".

- الكتابان ألفهما لغرض سياسي .

مادة الكتابين ومصادرهما :

أ- (المصدر الثقافي) ما ثقفه ونقله من علوم من سبقوه ، فقد كان ملما مطلعا على ثقافات الآخرين ، وقيل :

إن كتابه "الأدب الكبير" هو ترجمة لكتابٍ فارسي مشهور (التاج في سيرة أنوشروان) ، أو كتاب (آيين ناما أو خداي ناما) ، وغيرها من الكتب الفارسية ، فقد كان مترجمًا بارزًا ترجم كتبا فارسية ، ويونانية ، وكتب المنطق والفلسفة اليونانية ككتاب : أفلاطون وأرسطو.

ب- (المصدر الذاتي) اعتمد فيه على استنباطاته واستدلالاته وتحليلاته ، فقد كان ذا قدرة فائقة على التحليل والاستنتاج الذي يظهر جليا في كتابيه .

إذن معلوماتهما مستقاة من ثقافته وخبرته وتجربته ومما نقله من علوم الآخرين والترجمات وغيرها .

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (5)

وقفة مع كتاب "رسالة الصحابة" لابن القفع

"رسالة الصحابة"

من الرسائل المشهورة لابن المقفع ، تسير في نفس السياق الذي سار فيه كتاباه "الأدب الكبير" و" الأدب الصغير" ، وهي حديث عن السلطان ومواصفاته وأصحابه وبطانته ومن يستعين بهم ويختارهم ؛ لأنه كان رجلًا سياسيًا ، فقد عمل كاتبًا رسميا لدى عبد الله بن علي ولدى غيره وقرب من بعض الخلفاء، تظل معظم كتبه تتحدث عن العلاقة التي تربط الحاكم بالمحكوم.

وقفة مع طريقة عرض "رسالة الصحابة" :

- بدأت بمدح الخليفة أبي جعفر المنصور تحدث عن شخصية المنصور وقدراته السياسية في إدارة دفة الحكم ومعاملته للناس ، يريد أن ينطلق من هذا التمهيد ، إلى أن رجلًا بمواصفات الخليفة المنصور بقدراته العالية يستحق أن تكتب عنه رسالة مستقلة ، ثم تحدث عن طريقة المنصور الحسنة بإشاعة العدل والحرية لدى الناس ، وأثنى كثيرًا على منهجه في التعامل مع الآخرين .

- ثم بعد انطلق إلى لب الرسالة ، وتوقف عند ما أسماه وسائل الإصلاح ، فقد كان مهمومًا بالإصلاح السياسي ، وكأن الإصلاح السياسي هاجسًا من الهواجس التي استبدت به في كتابيه "الأدب الكبير" و" الأدب الصغير"، و"رسالة الصحابة" ، وكأنه في مدحه للمنصور يمهد ويهيئ السياق النفسي له ليتقبل هذا التوجيه ، فتحدث عن وسائل الإصلاح وما ينبغي أن تعتمد عليه واشترط أن يتوافر في الخليفة صفات معينة أبرزها أن يكون مأملًا لكل من يطمع في عطفه وعفوه وعطائه ، كما اشترط أن يكون الخليفة دائمًا مأمنًا في مقابل ذلك أن يكون الخليفة فيه ما يرهب العدو ، يخاف من سطوته ، فيجمع بين حب الناس وخوفهم.

- ثم انتقل من مواصفات الخليفة إلى ما ينبغي أن يصلح به حال الخليفة والجند (الجيش) الذي يدافع عن الدولة ويضمن أمن البلد واستقراره السياسي، وتوقف طويلًا عن هذه النقطة لأنها تمثل ركيزة أساسية في طريقة تعامل الخليفة مع الناس .

- ثم تحدث عن الجنود ومضى يمدحهم يثني على جند أبي جعفر المنصور وكيف كانوا شجعانًا في ترسية حكم بني العباس وبعث الاستقرار والأمن في نفوس الناس ...

- بعد المدح وتهيئة نفوس السامعين لتقبل التوجيه ، تحدث عن قوانين في تعامل الخليفة مع الجند ، حيث اشترط :

1- أن يثقف جنده ويزرع فيهم الأخلاق الكريمة وأن يفرقوا في تعاملهم مع أبناء البلد ، وأعداء لبلد .

2- أن لا يلي أحد من الجند مسألة الخراج ، وهي الأموال التي تجبى من كل مكانٍ لتصل إلى بيت مال المسلمين ، ومنها يصرف الخليفة على دولته ، وعلل بقوله "فإن ولاية الخراج مفسدة للمقاتِلة ، فإذا جلبوا الدراهم والدنانير اجترؤا عليهما ، وإذا وقعوا في الخيانة صار كل أمرهم مدخولا"

3- أن يحدد لهم الخليفة مواعيد معلومة لعطاءاتهم وأرزاقهم ، ولا يؤخرها .

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (6)

تابع "رسالة الصحابة"

الجزء الأول من كتاب "رسالة الصحابة" خصصه ابن المقفع للحديث عن : "الخليفة وصفاته" ،
والجزء الثاني كان للحديث عن : "الجند وعلاقة الخليفة بالجند" ،
والآن نتحول إلى الجزء الثالث من هذه الرسالة وقد خصصه للحديث عن : "الرعية وعلاقة الخليفة بالرعية" .

- ركز ابن المقفع على ضرورة أن يكون الخليفة كالأب الحاني لرعيته ، وأن يكون قريبًا منهم عطوفًا عليهم، وأن يعوضهم ما لاقوه من عنت وقمع في عهد بني أمية ، وتحدث عن أهل العراق وأهل البصرة تحديدًا في العصر الأموي حيث الفتن والانشقاقات ، فأوصى الخليفة أبا جعفر المنصور بأن يعاملهم معاملة حسنة، وأن يقرب منه أسيادهم ، وهذا نوع من الدهاء السياسي ؛ لأن علاقة الخليفة بالرعية إذا كانت حسنة فهذا أدعى لمحبة الناس له ، وهذه من النقاط المهمة في هذه الرسالة؛ لأن العباسيين حينما استوطنوا العراق وأقاموا دولتهم كان الناس يخشون أن يتكرر ظلم وقمع بني أمية في تلك الفترة.

  ثم انتقل ابن المقفع إلى الجزء الأكثر أهمية في هذه الرسالة وهو "العناية بالقضاء" ، وربما هي الفيصل في رسالة الصحابة لابن المقفع؛ لأن الحديث عن القضاء يعد جديدًا ويندر أن نجد في الرسائل الأولى الموجهة إلى السلاطين أو الخلفاء حديثًا عن إصلاح القضاء ؛ لأن الأمر كان محصورًا على العلماء والقضاة فقط .

- كان ابن المقفع من أوائل الذين دعوا إلى إصلاح التشريع وكتابة قوانينه ، وسن تشريع لا يتعارض مع ما جاء به ديننا الحنيف ، وهنا أكد في رسالته في الصحابة على أن الخليفة يجب أن يكون هو من ينظر في شئون القضاء ويهتم بشئونه ويحاول إصلاحه بالشكل الذي يضمن توافقه مع تعاليم الدين الإسلامي ، يقول ابن المقفع :

  "ومما ينظر أمير المؤمنين فيه من أمر القضاء وغيره : اختلاف الأحكام المتناقضة التي قد بلغ اختلافها أمرًا عظيمًا في الدماء والودائع، وهناك من يستحل الدم والمال بالحيرة ويحرمها في الكوفة، ويكون مثل ذلك الاختلاف في جوف الكوفة فيستحل في ناحية فيها ما يحرم في ناحية أخرى"

يقصد بذلك أن اجتهادات القضاة متناقضة في كل ناحية ، فيجب أن يكون الخليفة موحدًا وعادلًا من خلال إصلاح التشريع وضبطه وتدوينه بحيث لا يمكن أن يختلف القضاة في أمور واضحة، وتبقى مناطق الاجتهاد ضيقة.

- كما دعا إلى وجود كتاب تدون فيه أحكام الشريعة الإسلامية والاختلافات بحيث يكون مرجعًا لأحكام الناس، ومنطلقًا من كلام الله عز وجل، والثابت من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا ما دعا الخليفة المنصور أن يطلب من الإمام مالك تأليف كتابه المشهور "الموطأ" ، ويقال: إن الإمام مالك قد اعتذر من قبل مرارا كتابة كتابٍ يدون فيه التشريع الإسلامي ؛ إذ كان يرى أنه لا يمكن حصر اجتهادات العلماء والفقهاء في كتاب واحد لا يخرجون عنه فالأمر فيه من الصعوبة والمسئولية الخطر الجسيم، لكن المنصور حينما قرأ رسالة الصحابة ألح على الإمام مالك إلحاحًا كبيرًا حتى ألفه محاولا حشد النصوص الصحيحة لجعلها كلها بين يدي القاضي ، وهذا من ثمرات "رسالة الصحابة"، وإن بدت صغيرة إلا أنها احتوت على توجيهات ومعلومات ونصائح عظيمة كان من أبرزها هذا السفر المهم في تاريخ التشريع الإسلامي.

- قضية القضاء واختلاف الفقهاء والاجتهادات في التحريم والتحليل احتلت مساحة كبرى في "رسالة الصحابة"،
وكان ابن المقفع حريصًا على أن يعطي الخليفة رؤية محددة في وجود اصلاح التشريع وتدوينه وتثبيته بما يضمن العدل لكل الناس.

- انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن وجوب رعاية أهل الشام والعطف عليهم والعناية بهم بوصفهم أحد أركان الدولة كما طلب منه أن يكون قريبًا ومهتمًا بأهل البصرة بالعراق ، حتى لا يكون هناك نوع من التعامل المختلف بين أرضٍ وأرض داخل الدولة الواحدة.

- كان آخر حديث ابن المقفع في رسالة الصحابة عن بطانة الخليفة وهو أمر لا يقل خطورة عن القضاء ، والبطانة هم الذين يجالسون الخليفة ويستشيرهم ، وزراءه ، وخاصته والقريبين منه ، هذا الأمر وقف عنده ابن المقفع في نهاية رسالته وقفة طويلة مهمة.

  وأكد على المنصور أن يختار، من بطانته من يرى صلاحه وحكمته وسعة إدراكه وعقله ؛ لأن البطانة هي التي تسير كثيرًا من شئون الدولة والخليفة وحده لا يستطيع أن يسير دولة كاملة ما لم يكن لديه من مستشاريه وخاصته من يشير عليه ، كما أكد عليه أن يمنع بطانته من الظلم والاستبداد، وأن يختار أهل النباهة والعقول، وتوقف عند مسألة الخراج ، وأكد على أن لا يختار لهذه المهمة إلا الشرفاء الأمناء ، حتى لا تذهب مقدرات الدولة ولا تسرق في عقر دارها ، وهنا يقول :

  " ومما يذكر أمير المؤمنين به أمر الأرض والخراج ؛ فإن أجمع ذلك وأعظمه حظرًا وأشده مؤونة وأقربه من الضياع ، ما بين سهله وصعبه"

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (7)

وقفة مع كتاب"الدرة اليتيمة" لابن المقفع

نستكمل الحديث عن منجزات ابن القفع ونقف مع كتابٍ مفقود ، لكن وردت عنه إشارات عديدة تجعلنا نلمح له إلماحًا يسيرًا ، وهو كتاب من الكتب المفقودة التي لم نعثر عليها حتى الآن ، وهناك اختلاف بين المؤرخين ودارسي الأدب ما إذا كان هو نفسه كتاب "الأدب الكبير" ، وهذا الأمر أشار إليه محمد كرد علي وهو من أبرز العلماء الذين جمعوا النثر العربي بشكل عام واهتموا بدراسته ، كان يخلط في حديثه عن "الأدب الكبير" ويسمية بـ "الدرة اليتيمة" ، لكن الحقيقة التي ثبتت من خلال استقرائنا للمصادر تشير إلى غير ذلك .

أشار الباقلاني في كتابه "إعجاز القرآن" إلى كتاب "الدرة اليتيمة" ، وذكر أن هذا الكتاب قسم إلى قسمين:

1- الحكم المنقولة ، وفيه نَثَر ابن المقفع عددًا كبيرًا من الحكم الذي نقلها عن الفارسية والهندية واليونانية والسريانية وغيرها من خلال ثقافته التي عرفناها .

2- الديانات وأخبارها أنواعها ، كان خبيرًا بالديانات وأنواعها وأعرافها وكثير من قيمها ؛ كونه كان فارسيا مجوسيا ثم أسلم .

والكتاب ما زال مفقودًا وما وصلنا منه ، نتف تم تجميعها.

هل كتاب "الدرة اليتيمة" هو نفسه "الأدب الكبير" كما أشار محمد كرد علي أم أن الكتاب مستقل كما أشار الإمام الباقلاني ؟

إن تحقيق الروايات والتأمل في وصف كتاب "الدرة اليتيمة" ، والنظر في كتاب "الأدب الكبير" يثبت لنا أن :

"الدرة اليتيمة" كتاب مستقل لا علاقة له بـ "الأدب الكبير"، ويتضح لنا ذلك من خلال ما أورده الباقلاني عن الدرة اليتيمة ، بينما الأدب الكبير يتحدث عن علاقة الخليفة برعيته وعلاقة المحكوم بالحاكم .

- ما وصلنا من كتاب الدرة اليتيمة هو مقدمة الكتاب ، أوردها ابن طيفور في كتابه "اختيار المنظوم والمنثور"، وذكر أنها مقدمة الدرة اليتيمة لابن المقفع وأشار فيها إلى أن المؤلف بث أسئلة متعددة عن الناس وأقسامهم وأنواعهم ، وأجاب عنها ، وهذا الأمر غير موجود في "الأدب الكبير" ، إذا هو كتاب مستقل لكنه مفقود لم يصل إلينا منه سوى نُتف واختيارات وانتقاءات جمعت وضمنت في كتاب "آثار ابن المقفع" الذي أخرجته دار الكتب العلمية.

تحدثنا عن كتاب " الأدب الصغير" وأبرز ما تضمنه من رؤى وموضوعات وعن خصائصه ، ثم تحدثنا عن كتاب "الأدب الكبير" الذي قسم إلى بابين: باب عن السلطان وباب عن الصداقة ، ثم فرقنا بين "الأدب الكبير" و" الأدب الصغير"، وانتقلنا إلى "رسالة في الصحابة" التي قسمناها إلى أقسام متعددة ، ثم "الدرة اليتيمة" .

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

الترجمة الشهيرة والأكثر أهمية لابن المقفع "كليلة ودمنة" :

هذا الكتاب فريد من نوعه ، ترك أثرًا كبيرًا في نفوس قرائه إلى اليوم، في أصله هندي ثم ترجم إلى الفارسية وهي اللغة الأصلية لابن المقفع ثم ترجمه إلى العربية ، وهو عبارة عن قصص على ألسنة الحيوانات تتضمن كثيرًا من الحكم والرسائل الإصلاحية والتوجيهية ولا يخلو من الطرافة الجانب الأكثر حضورا في الكتاب ، وقد طبع طبعات متعددة، وانتشر بين الناس .

- ظاهرة القصص على ألسنة الحيوانات ظاهرة طريفة ، المراد منها بث رسائل معينة داخل المجتمع عن طريق إجرائها عن ألسنة الحيوان ، وهذا الفن يحمل طوابع خلقية ، يحاول القاص الحكيم غالبًا أن يقدم رسائل إصلاحية إلى مجتمعه، بأسلوبٍ أدبي رفيع .

- الحكاية في أصلها مرتبطة بالطابع الشعبي، أو ما يسمى بـ "الفلكلور" ، وهذا يجعل منها منفذًا سهلًا للوصول إلى قلوب الناس وعقولهم.

الحكايات تمثل حالات مختلفة :

1- حكايات تفسر تفسيرا أسطوريا .

ونقصد : الحكايات الخيالية التي لا تكون واقعية ولا يمكن أن تكون واقعية .

مثل : أسطورة "نار سيوس" عند اليونانيين ، وهي قصة وهمية خيالية عن فتيً وسيم وجميل ابلته الآلهة بحب نفسه وعشق ذاته افتتن بجماله إلى درجة أنه كان ينظر إلى نفسه في الماء حتى سقط فيه يوما ، فمات وتحول إلى زهرة النرجس التي تنمو وحدها وتعيش حول الماء.

2- حكايات تذهب مذهب المثل السائر بين الناس .

هناك أمثال كثيرة سارت بين الناس تحكي قصصا معروفة مثل :

"الصيف ضيعت اللبن" ، "مواعيد عرقوب" ، "جزاء سنمار" ، "رجع بخفي حنين" ، "حرٌّ انتَصر"

كلها حكايات أنشئ حولها مثل .

لماذا اختاروا الحيوانات في هذه القصص وعبروا بها عن لغة الناس ليبثوا من خلالها رسائل إصلاحية في المجتمع ؟

لانها وسيلة للوصول إلى قلوب الناس ، مع عدم الدخول في تفاصيل الإنسان ، فهي وسيلة وليست غاية من أجل بث رسائل إصلاحية داخل المجتمع تمزج بين الرسالة الإصلاحية وبين الطرفة.

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (8)

وقفة مع كتاب"كليلة ودمنة" لابن المقفع

لم تكن الأمة العربية هي الأسبق في مجال القصص على ألسنة الحيوانات ، بل مستوردة استفادت من التجربة الهندية والفارسية في قصص الحيوانات عن طريق عبد الله بن المقفع ، أما قبل ذلك فلم يكن للعرب حضور على مستوى قصص الحيوانات.

من هي الأمة الأسبق في استحداث هذا النوع من القصص على ألسنة الحيوانات ؟

الأمر فيه اختلاف :

1- أن اليونانيين ابتدعوا هذا النوع من الحكايات في القرن 8 ق.م ، وقبله نظموا حكايات هزيودوس في أسطورة "الباز والبلبل"
وقيل : إن أسطورة هزيودوس كانت أول محاولة حقيقة لصياغة القصص على ألسنة الحيوانات ثم في القرن السادس ق.م ، ألفت هذه الحكايات نثرًا بعد أن كانت شعرًا يونانيا وانتقلت من اليونان إلى الهند.

2- أن الهنود هم الذين سبقوا في القرن 8 ق.م في كتابٍ مشهور بعنوان : "جاتاكا" الذي يتحدث عن روح بوذا التي تحولت بعد تناسخ الأرواح من الطيور والحيوانات والأشجار إلى روح نقية ، وصيغت قصص على ألسنة الحيوانات، وعن طريق الهنود استطاع الفرس أن يستوردوا هذه الحكايات وترجمها العرب عن طريق ابن المقفع.

3- أن المصريين القدماء هم الذين سبقوا بها، ويستدلون على ذلك : بعض النقوش التي وردت في المعابد الفرعونية عن قصة الفأر والأسد المشهورة المرسومة في ورق البردي ، وتعود إلى القرن 12 ق.م .

لا نعبأ كثيرا بترجيح أحد هذه الروايات على الآخر، لكن الثابت أن الأمم استفادت من بعضها في هذه الحكايات ، وأن الاستحداث الأول لا يبدو واضحًا ولا نستطيع الجزم به.

كيف وصلت هذه القصص إلى العرب ؟

تقول الروايات أن أصل الكتاب كان هنديًا في القرن 15 ق.م ، كان هناك نوع من القصص وضعها الفيلسوف الهندي بيدبا ؛ ليحكي الصراع بين البشر وبين الخير والشر على ألسنة الحيوانات .
ثم جاء شيرَويه وزير كسرى أنوشروان ، وترجمها إلى الفهلوية ، ونقلها من الفهلوية إلى الفارسية وأضاف إليها 5 قصص حول صراع بين حيوانين "بن آوى" وآخر من نفس الفصيلة ، وأسماهما باسمين : "كاراتاكا" و "داماتاكا" ، فأصبح لدينا 10 قصص على ألسنة الحيوانات نقلت من الفهلوية إلى الفارسية ومن الفارسية نقلها عبد الله بن المقفع إلى العربية، وحول أسماء الشخصيات إلى أسماء عربية فكانت "كاراتاكا" هي كليلة و "داماتاكا" هي دمنه.

حينما نتأمل هذا الفن الحكائي؛ سواء عند الهنود، أو الرومان، أو اليونان، أو العرب ، نجد أن هناك سمات مشتركة تجمع النسخة العربية بالنسخة الهندية بالنسخة الفهلوية .

الخصائص المشتركة بين النسخ المترجمة لكتاب "كليلة ودمنة" :

1- ظاهرة التقديم للحكاية بالسؤال والاستفهام عن أصل الحكاية.
جميع الحكايات في كليلة ودمنة في نسختها العربية، أو الهندية، أو الفارسية ، كانت تبتدئ الحكاية بداية استفهامية سؤالية عن أصل الحكاية.

2- التداخل في الحكايات.
هناك حكاية رئيسة تتفرع منها حكايات فرعية ، فتتداخل الحكايات مع بعضها البعض، ونلحظ وجود شخصيات جديدة وأحداث مختلفة وتعود حكايات أخرى مستقلة تتنامى إلى أن تصل إلى الهدف الرئيس ، وتبتعد عن الحكاية الأصل.

3- محاولة تناسي الرموز والحديث عن الشخصيات المرموز إليها .
بمعنى أن الشخصيات الموجودة هي شخصيات حيوانات فقط ، رغم أنهم يتحدثون عن شخصيات حقيقية بشرية لكنهم ينحونها جانبًا ويتحدثون عن الشخصيات المرموز إليها.

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

* أثر كليلة ودمنة في الأدب العربي.

ترجمة ابن المقفع لهذا اللون من الحكايات كان له أثره العظيم في ذاكرة الأدب العربي، بما تضمنته من طريقة طريفة في عرض التوجيهات والرسائل والحكم والتجارب في قالب حكائي على ألسنة الحيوانات؛ لأن ألسنة الحيوانات بسيطة تقدم لك التجربة بشكل سهل ومقبول لدى النفس .

يظهر أثر هذه الحكايات في جانبين :

1- النظم الشعري.

حيث إن عددا من الشعراء أعجبوا بكليلة ودمنة ، فحولوا الكتاب النثري إلى منظومة شعرية مثل : أبان بن عبد الحميد اللاحقي تجاوزت 14 ألف بيتا حاكى فيها كليلة ودمنة.

وهناك محاولات أخرى جيدة للنظم بالشعر العربي كمحاولة : بشر بن المعتمر ، وعلي بن داود وغيرهم .

2- التقليد أو النسج على منوال كليلة ودمنة ومحاكاتها.

هناك محاولات متعددة كمحاولة : سهل بن هارون ، و داود بن علي ، و"إخوان الصفا" وهي رسائل فلسفية مشهورة فيها حضور للحيوانات والمناظرات بين الإنسان والحيوان ، أرادوا أن يبثوا من خلالها كثيرًا من فلسفاتهم ومعتقداتهم.

أبرز الذين حاكوا "كليلة ودمنة" بإعادة كتابتها وتقليدها :

ابن الهبَّارية ، وهو شاعر وناثر استطاع أن يعيد كليلة ودمنة في منظوم شعري وفي كتابة نثرية ، وصدر له :

كتاب "نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة" وهو محاولة لنظم كليلة ودمنة شعرًا ،

وكتاب "الصادح والباغم" وهو محاكاة على منوال كليلة ودمنة نثرًا .

في قصص على ألسنة الحيوانات تقترب من تجربة ابن المقفع المترجمة من الفارسية.

ومع هذا ظلت قصص كليلة ودمنة هي الأبرز والأجود في تاريخ الحكايات على ألسنة الحيوانات.

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (9)

تابع كتاب"كليلة ودمنة"

لم يكن أثر هذا الكتاب في حدود الأدب العربي فقط ، وإنما تجاوز ذلك فأثر في الآداب الفارسية وفي الآداب العالمية بعد ذلك.

*** أثر هذا الكتاب في الأدب الفارسي .**

حينما ترجمه ابن المقفع إلى العربية بعد القرن الثاني الهجري، حاول الفرس أن ينقلوه إلى الفارسية من جديد ،
ذلك أن ابن المقفع حينما ترجم الكتاب أحدث فيه عددًا من التحولات ؛ لأنه كان ذا ثقافة عالية مطلعًا قارئًا .
وتقول المصادر أن الفارسيين نقلوا كليلة ودمنة في نسخته العربية إلى لغتهم الفارسية .

أول من ترجم النسخة العربية لـ"كليلة ودمنة" إلى الفارسية : أبو المعالي نصر الله ،
ثم المترجم المشهور حسين بن واعظ الكاشفي ، كان أفضل من نقل "كليلة ودمنة" من العربية إلى الفارسية ، نقله إلى النسخة الأكثر شهرة "أنوار سهيلي" **وترجم بعد ذلك إلى لغات متعددة وأضيفت له إضافات طويلة وأصبح كتابًا ضخمًا ، لكن بقيت النسخة العربية أكثر شهرةً وانتشارًا .**

*** أثر هذا الكتاب في الآداب العالمية الحديثة .**

آداب أوربية متعددة في العصر الحديث اطلعت على الكتاب في نسخته العربية ، وتحديدًا نسخة ابن المقفع ، وأعجبت به أيما إعجاب، فكان هذا مدعاة إلى نقله إلى لغاتهم عن طريق الترجمة.

هذا الكتاب أثر تأثيرًا مباشرًا في الثقافة الغربية الحديثة، وترجم إلى لغاتٍ متعددة، فهناك محاولة أحد الشعراء الفرنسيين : لافنتين من أشهر شعراء فرنسيًا من أصحاب النزعة الاجتماعية في منهجه الشعري ، شبيهة ومتأثرة بتجربة ابن المقفع في كليلة ودمنة.

هل تأثر "لافنتين" بنسخة "كليلة ودمنة العربية" أم بغيرها ؟

هناك تراجم عديدة لقيها هذا الكتاب إلى اللغات الأوربية الحديثة منها الفرنسية والإنجليزية وغيرها ، ومن المرجح أنه اطلع على الترجمة الفرنسية وتأثر بها ، **وبالتالي استطاع أن يحاكي هذه الطريقة بصياغة قصص على ألسنة الحيوانات.**
واستطاع أن يمزج الحكايات بأساطير يونانية ورومانية وفرنسية جديدة ويخرج كتابًا لائقًا .

كتاب "لافنتين" يتقارب مع "كليلة ودمنة" في عدة نقاط :

1- التشابه بين الشخصيات الخيالية والشخصيات الحقيقية.
2- حرصه على توافر المتعة كما كانت وكليلة ودمنة.
3- تصوير الشخصيات الحية بتصوير دقيق.

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

* أثر هذا الكتاب في الأدب العربي الحديث .

- العرب لم يتأثروا تأثرًا مباشرًا في العصر الحديث بكتاب "كليلة ودمنة" ، وإنما كانت تجربتهم مع لافنتين الفرنسي في كتابة "القصص على ألسنة الحيوانات" أكثر تأثرا ، وهذا الأمر مثير للاستغراب ؛ لأن كتاب "كليلة ودمنة" كان يمتلك حيزًا واسعًا من الجودة في مستوى صياغته اللغوية، والمتعة في طريقة عرضه وآدائه، وعمق الرسائل التي تضمنتها ، لكن ردود الفعل في الأدب العربي الحديث لم يكن لها أثر واضح ، فكانت محاولات فردية في صياغة هذه القصص شعريًا وفي محاولة محاكاتها.

- كان تاثر الأدب العربي الحديث بكتاب "كليلة ودمنة" تأثرا غير مباشر ، وذلك عن طريق قصص "لافنتين" والذي تأثر بشكل مباشر بقصص "كليلة ودمنة" .

ثلاث محاولات في تأثر الأدب العربي الحديث بكتاب "كليلة ودمنة" :

1 - محاولة المصري محمد عثمان جلال في كتابه "العيون اليواقظ في الحكم والأمثال والمواعظ" ، وهو عبارة عن نظم هزيل تطغى عليه العامية المصرية في نظم قصص الحيوانات ، مترجمة عن النسخة الفرنسية من قصص "لافنتين"

2 - محاولة إبراهيم العرب في كتابه "آداب العرب" يسير فيه أيضا على نسق لافنتين الفرنسي .

3 –أجود المحاولات في صياغة قصص على ألسنة الحيوانات ما قام به أمير الشعراء أحمد شوقي ، الذي قرأ كليلة ودمنة وقرأ حكايات "لافنتين" الفرنسي بشكل واعٍ ، وأفرز هذا عن نصوص إبداعية عالية الجودة ، في الجزء الرابع من ديوانه الشهير "الشوقيات" .

- كتاب كليلة ودمنة في نسخته العربية التي ترجمها عبد الله بن المقفع انتشر انتشارًا كبيرًا، وكان حضوره لافتًا؛ سواء في الآداب غير العربية كالفارسية مثلًا التي نقلت النسخة العربية إلى الفارسية من جديد عن طريق الكاشفي وغيره ،
أو في الآداب الغربية الحديثة التي نقلت الكتاب إلى لغاتها فترجم إلى الانجليزية، والفرنسية، وغيرها، وتأثر به بشكلٍ مباشر : "لافنتين" الفرنسي الذي صاغ عددًا من القصص على ألسنة الحيوانات.

- كان الأدب العربي الحديث متأثرًا بكليلة ودمنة ، لكنه تأثر بشكل مباشر بمحاولات "لافنتين" الفرنسي ، فوجدنا بعض المحاولات لإعادة نظم هذه القصص بالشكل الشعري.

- كليلة ودمنة تمثل كتابًا حقيقًا ومؤثرًا في تاريخ النثر العربي، وهذه القصص التي برزت وغيرت من شكل تعاطينا مع النثر العربي الذي تعودنا عليه أن يكون إما خطبة مجلجلة أو رسالة هادئة أو مقامة مسجوعة، تحول هذه المرة إلى حكايات طريفة مصاغة بأسلوب فصيح أنيق وتؤدي رسائل توجيهه لإصلاح المجتمع.

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (10)

الجاحظ

- الجاحظ اسم فريد من أسماء النقاد العرب ، ما زال إلى اليوم مثيرًا للجدل ، نختلف فيه ونتفق، ونكتشف كثيرًا من المفارقات و المضامين والرؤى التي تبناها في كتبه في فترة مبكرة جدًا.
- الجاحظ احد أقطاب النثر العربي في عصور الأدب قاطبة وفي العصر العباسي تحديدًا.

من هو الجاحظ اسمًا وصفة وشخصًا وعصرًا ؟

اسمه : أبو عثمان عمرو بن بحر ، اشتهر بالجاحظ ؛ لجحوظ في عينيه ، وقيل بهذا اللقب وتبناه.

مولده ونشأته : ولد الجاحظ سنة 160 هـ في العراق وتحديدًا في البصرة ، وهناك نشأ وتربى وعاش سنينه الأولى من عمره .
والعراق كان حاضرة الدولة العباسية في تلك الفترة ، وليس غريبًا أن تزدهر ثقافيًا وعلميًا بحكم وجود الخلافة فيها ونبوغ عدد من أرباب العلم ورواده في تلك الفترة.

نسبه : هناك خلاف بين المؤرخين في نسب الجاحظ :

1- أنه كان مولي لأحد أشخاص قبيلة كنانة يدعى أبا القِلَمس ، وليس عربيًا من هذه القبيلة .

2- لم يكن من الموالي ، وإنما كان عربيًا قبليًا قحًا ـــــ وهو الراجح .

الخلاف بين المؤرخين في بشرته السوداء التي أوهمت بأنه ليس من العرب الأقحاح، وهذا غير صحيح ؛ إذ إن في العرب الأقحاح من أصحاب البشرة السوداء.

صفته :

- عرف الجاحظ مع سواد بشرته بأنه دميم الخلقة، وأثرت قصة مشهورة جدًا رواها الجاحظ عن نفسه :

"أن امرأة جاءت إلى أحد الصاغة وطلبت أن يرسم على خاتمها على خاتم يدها صورة الشيطان فقال لها الصائغ: وما أدراني بشكل الشيطان ؟ فذهبت المرأة إلى الجاحظ ، وطلبت منه أن يأتي معها إلى الصائغ ، فذهب معها ، ثم أرته الصائغ وقالت: هذا هو ."

ثقافته :

- كان الجاحظ عربيًا، ونشأ في البصرة وهناك تزوج، وتعلم تعليمه الأولي في المساجد، ولم يكن لديه هذا النبوغ فقد كان طفلًا عاديًا في بدايته ، عدا أنه كان مشغوفًا بالقراءة والإطلاع .

تتلخص روافد ثقافة الجاحظ في رافدين : الرافد التعليمي ، والرافد الذاتي.

الرافد التعليمي : ينطلق من حرص هذا الرجل على التعلم ، حفظ القرآن الكريم وأتقنه صغيرًا في مساجد البصرة ، وهو زاد معرفي وتعليمي كبير جدًا ، وحفظ عددًا كبيرًا من الأحاديث النبوية ، وتتلمذ لغويًا على يد علماء اللغة والأدب في تلك الفترة، وكان غالبهم من أهل العراق مثل : أبو زيد الأنصاري ، الأصمعي، أبو عبيدة معمر بن مثنى.
فقه الجاحظ اللغة وأصولها ومبادئها بشكل جيد ، وحفظ الشعر كما حفظ القرآن الكريم، وحفظ مأثور العرب، وقرأ واطلع، وتتلمذ على يد أفذاذ ، فكان هذا الأثر.

الرافد الذاتي : ينطلق من شغفه بالاطلاع وحبه الشديد للقراءة ، لدرجة أنه يؤثر عنه أنه قال : "ولقد تتلمذتُ على نفسي".
بنى نفسه بنفسه بعد مرحلة الطلب التي تتلمذ فيها على يد العلماء ، من خلال القراءة والاطلاع ، واشتغل بالوراقة ، وهي : نسخ الكتب والوثائق، ولم يكن وراقًا عاديًا، فقد كان يقرأ بوعي ويطلع مع النسخ ، وهذا الأمر عاد بالنفع على شخصيته فأصبح شخصية موسوعة ثقافية ، وكان يعمد إلى دكاكين الوراقين فيكتريها ببعض المال ، ويظل الليل يقرأ وينسخ ، وأمضى في الوراقة عشر سنوات .

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (11)

تابع شخصية الجاحظ

تقول المصادر: بأن الجاحظ ولد في البصرة في العراق سنة 160 هـ ، وبعد 20 سنة من ولادته، انتقل من البصرة إلى بغداد ، وبغداد حاضرة الدولة العباسية ، وحاضرة الأمة العربية بشكل عام ، وسكنى بغداد تختلف عن سكنى غيرها من المدن سواء في العراق أو الشام أو غيرها.
كانت بغداد عاصمة الدولة ، وفيها قصر الخلافة ، وفيها ويسكن الخليفة العباسي ، فانتقل الجاحظ إلى بغداد ، لكنه لم يستطع الاستقرار ، ولم تطب له بغداد سكنًا ربما لحبه للعلم والاطلاع ، فعاد إلى مسقط رأسه البصرة وبقي فيها إلى سنة 204 أي : كان عمره في تلك الفترة يصل إلى 44 سنة.

علاقة الجاحظ بالوزيرين : الزيات وابن أبي دؤاد .

- بدأت تتضح وتظهر شخصية الجاحظ في عهد المأمون تحديدًا ، بالذات حينما اتصل بالوزير محمد بن عبد الملك الزيات، وهو من الشخصيات المشهورة جدًا في الأدب العربي ؛ لأنه كان من المقربين إلى الجاحظ ، وكأن هناك نوع إعجاب متبادل بين الرجلين.
فنشأة بينهما صداقة ، وقربه الزيات ومنحه عملًا في "ديوان الرسائل" لكنه لم يستمر فيه طويلًا ؛ لأنه لم يرد أن يقيد عمله في كتابة مراسيم الخليفة وقراراته وبياناته ، إنما يريد أن يقرأ ويطلع فقط ، فلم يكمل العمل في ديوان الرسائل وبقي صديقًا لمحمد بن عبد الملك الزيات وزير المأمون.

- في تلك الفترة ظهرت شخصية أحمد بن أبي دؤاد الإيادي، كان وزيرًا، ومنافسًا للزيات ، وتقول المصادر التاريخية بأن هناك عداوة بين الزيات وبين أحمد بن أبي دؤاد، فاضطر الجاحظ أن ينضم إلى صديقه الزيات ضد ابن أبي دؤاد ، وهذا الانضمام كلفه الكثير؛ لأن الجاحظ كان ذا لسان سليط، وقلم ساخر مر ، وهذا أمر يؤذي لمن في مقام الوزير .
ويقال: إن الجاحظ كتب رسالته المشهورة "التربيع والتدوير" ساخرًا بأحمد بن أبي دؤاد ، انتصارًا لصديقه محمد الزيات.
وتروي المصادر أن الجاحظ يقول: "ابن أبي دؤاد، أعلم ما هو أعلم بالفقه ، وهو لا يعي من الفقه شيئًا" وكفى بهذه العبارة سخرية مما جعل ابن أبي دؤاد يحقد على الجاحظ ويكرهه ويتصيد فرصة لينال منه، وبالفعل حدثت له فرصة حينما تولى ابن أبي دؤاد الوزارة، فطلب الجاحظ أن يأتيه مكبلًا بالحديد ، وكأن يريد أن يقتله، لكن مناظرة جرت بينهما، وكان الجاحظ قوي الحجة ذكيًا فصيحًا مقنعًا، فاستطاع أن يستل خصومة ابن أبي دؤاد، وأن يتحول من عدوه إلى صديقه ؛ لأن ابن أبي دؤاد كالزيات كان مثقفًا عالمًا كاتبًا.
فكلا الرجلين عرفا للجاحظ قدره وشخصيته الثقافية ، فتحول العدو إلى صديق ، وقربه كثيرًا .
تقول المصادر : "وهناك أصبح في حياة رغيدة، وعاش حياة مطمئنة ، ثم اتصل بالفتح بن خاقان في بلاد فارس ، وانتقل إلى أنطاكيا، وجال منطقة تركيا ، واتصل ببعض الأسماء والشخصيات إلى أن أصيب بالمرض الشهير الفالج أو النقرس".
وهذا المرض أتعبه وشل حركته تمامًا ، وتحفظ المصادر كلمة مشهورة جدًا للجاحظ حين عاتبه بعض أصدقائه بأنه لا يقابلهم ولا ينظر إليهم فقال : "ماذا تريد من رجل لو نصفه نشر بالمناشير لما أحس به" ، وهنا يقصد الشلل ، " ونصفه الآخر لو مرت به الذباب لأزعجه" يقصد الفالج أو النقرس - وقانا الله وإياكم-
لكن مع إصابته التي استمرت بضع سنوات إلا أنه ظل حاضر الذهن ، قوي الذاكرة وقادًا قارئًا، فلم يذهب عقله ، ولم تذهب عزيمته.

وفاة الجاحظ :
عُمِّر الجاحظ طويلا ؛ فقد توفي سنة 255 هـ ، وعمره قرابة 95 سنة.
ومع مرضه الذي أعاقه عن الحركة ، سقطت الكتب عليه فلم يستطع حراكًا ، وأسلم روحه إلى بارئها.
وكانت وفاته خسارة حقيقية للأدب وللفكر العربي تلك الفترة رغم أن منجزاته بقيت وسلمت من الضياع والفقد.

وتذكر المصادر أنه اتهم بالاعتزال ، وكتب عن الفكر المعتزلي ، لكننا نحن ندرسه أديبًا دون الخوض في آرائه الدينية أو السياسية.
وقد أخرج لنا المحقق المعروف عبد السلام هارون من نفائس الجاحظ الكثير، واختار لنا منجزاته المعرفية القيمة.

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (12)

تابع شخصية الجاحظ

ملامح وسمات شخصيته الثقافية :

1- قوة الحجة .

وهذا يجعلنا نستدعي قصته مع أحمد بن أبي دؤاد الذي كان يريد أن يقتله ثم في لمحة بصر أصبح صديقه المقرب بعد مناظرة جرت بينهما .

لأنه كان مثقفًا بارع المنطق تتلمذ على النظام وعلى سعيد بن مسعدة ، وقرأ علم الكلام وعلم المنطق والحجج والبراهين.

وإذا قرأنا بعض كتبه خاصة رسالة "التربيع والتدوير" ورسالة "الحاسد والمحسود"، نجد أنه يستطيع أن يجعل التافه عظيمًا والعظيم تافهًا، لقدرته الحجية الإقناعية العقلية، قوة الحجة وهذه تحتاج إلى مقدرات خاصة .

2- دقة الملاحظة.

يقول عن نفسه : "لا تشفيني إلا الملاحظة"

أمثلة على دقة ملاحظته :

حينما سئل : لماذا يحب الطفل الصغير أن يقترب أكثر، وأن يناغي المصباح ؟

فقال : "إن الطفل لا يناغي شيئًا كما يناغي المصباح، وتلك المنغاة نافعة له في تحريك النفس ، وتهييج الهمة ، والبعث على الخواطر في اللهاة ، وتشديد اللسان ، والسرور الذي له في النفس أكبر الأثر" ونحن نرى ذلك نوع من الفضول أو العبث !

3- حرية الفكر. وهذه مهمة جدًا.

حينما عمل في ديوان الرسائل وهو منصب مهم يتمناه أي كاتب، لكنه بقي فترة قصيرة ثم انسحب ؛ لأنه لا يريد أن يقيد نفسه في عمل يفرض عليه أن يكتب هذا ولا يكتب هذا ، ولا يريد أن يكون كاتبًا مأجورًا مصنوعًا ، ولا يريد أن يكتب مراسيم وبيانات رسمية سياسية.

كيف استطاع أن ينال هذه الحرية الفكرية التي قلما نجدها عند غيره ؟

التنشئة العالية ، وحب المعرفة والاطلاع ، والفكر الحر، ولذلك تهكم واعترض على كثيرٍ من الفلاسفة ، كان حادًا في ملاحظاته وتعليلاته وتحليلاته ، لا يقتنع بأي سؤال أو جواب ، يستطيع أن يقرر ما يريد، وأن يترك ما لا يريد ، وهذا يظهر في أرائه الجريئة وقدرته على التخييل والتعليل.

نجد كثيرًا من القصص التي يوردها عن المتحذلقين من أهل اللغة وغيرهم ، يسخر منهم ويتهكم بهم ، ومن ذلك القصة المشهورة يقول الجاحظ : "وقد زعم صاحب المنطق أنه قد ظهرت حية لها رأسان ، فسألت أعرابيًا عن ذلك فزعم أنه حق ، فقلت له : فمن أي جهة الرأسين تسعى ، ومن أيهما تأكل وتعض ؟ ، فقال: "أما السعي فلا تسع ، ولكنها تنقلب كما ينقلب الصبيان على الرمل وأما الأكل فإنها تتعشى بفم وتتغدى بفم ، وأما العض فإنها تعض برأسيها معًا" ، فإذا به أكذب البرية.

4- اعتماده على التجربة والتفكير.

لا يعطيك الحكم والرأي إلا بعد أن يمحصه ويفكر فيه ويجربه إذا احتاج إلى تجربة ، وهذا من أمانته وصدقه .

يقول الجاحظ : " التفكير: مشحذة للأذهان، ومنبهة لذوي الغفلة، وتحليل لعقدة البلادة ، وانفساح للصدر، وثمرة تغذي العقل".

وأكثر الشواهد دلالة على هذا الأمر كتابه "الحيوان"، وهو سفر ضخم يصل إلى سبعة مجلدات ، عبارة عن دراسة علمية وافية في الحيوان طباعًا وصفاتٍ وأشكالًا وأداةٍ كل شيء يخص الحيوان ، وقد استطاع أن يقنعنا بصدق كلامه ومنطقيته في حديثه عن الحيوانات ؛ لأنه كان لا يورد حكمًا ولا رأيًا ولا فكرة تخص هذه الحيوانات إلا بعد أن يجربها فعلًا مع الحيوان.

فهو عالم موسوعي ، عالم أدب ولغة ، ثم عالم في العلوم التجريبية كعلم الأحياء ، يعطي التجارب العلمية المدهشة التي يجدها من يشتغل في علم الحيوانات.

ذكر في كتابه "الحيوان" : أنه جمع عشرين عقربًا وعشرين فأرًا، ووصف ما جرى بين العقارب والفئران ، وصف بعض المعارك بين بعض بعض القوارض ، وتحدث عما شاع عن الأفاعي بأنها تكره رائحة الشيح "النبتة المعروفة الطيبة الرائحة ، فقال :

"أما أنا فقد ألقيت على عددٍ من الحيات شيحًا ، وغيره من الأزاهير فلم أجد دليلًا على صحة ما زعموا"

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

5- اعتماده على العقل.

وهو ملمح يسير في السياق نفسه الذي يسير فيه الملمح الرابع.

حينما يقنعك إنسان بتجربة أو بتفكير فإنه يعمل عقله ، والجاحظ من أبرز علماء العربية الذين يستثمرون قدراتهم العقلية ، يستثمرونها إقناعًا وتدليلًا وتعليلًا وتحليلًا، وهذا الأمر نجده في شتى كتبه ؛ سواء على مستوى الطرفة مثل :

"البخلاء" ، و"تفضيل السودان على البيضان" ، و"التربيع والتدوير"، أو في مستوى الأحكام العلمية الجادة مثل :

"البيان والتبيين" ، أو في محاولاته العلمية كما في "الحيوان".

الاعتماد على الشك من أجل التدليل للوصول إلى اليقين ، بمعنى : أنك تشك في هذا الأمر فتبحث عن أدلة متعددة لتثبته أو تنفيه.

قال ابن العميد : "كتب الجاحظ تعلم العقل أولًا والأدب ثانيًا"

وكثير من آرائه تدعو إلى عدم الخداع بالحواس المجردة ، ويجب أن تعمل العقل .

يقول: "فلا تذهب إلى ما تريك العين ، واذهب إلى ما يريك العقل ، وللأمور حكمان: حكم ظاهر للحواس ، وحكم باطن للعقل، والعقل: هو الحجة" .

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (13)

تابع شخصية الجاحظ

قلنا: إن الجاحظ كان يعتمد على منهجية الشك، ليصل إلى اليقين.
مدرسة الشك تنسب إلى العالم المشهور ديكارت ، والحقيقة أن الجاحظ سبقه بقرون، فهو الذي كان يعلي شأن العقل، ويشكك في كثير من الحقائق ليستطيع أن يصنع الأدلة حولها.

6- روح الدعابة والمرح.
كان خفيف الظل مرحًا ساخرًا يرسم الابتسامة على شفاه القراء ، خاصة في كتابه المشهور "البخلاء".
ولعلنا نسترجع القصة المشهورة مع المرأة التي أرادت أن ترسم على خاتمها صورة الشيطان.

7- تدينه.
كان متدينًا في حديثه وفي أسلوبه وفي حياته ، وبعيدًا عن تهمة الاعتزال التي رمي بها إلا أنه كان متدينًا ورعًا ، ليس لديه بذاءات، ويقال بأن هناك فرقة تسمى الفرقة الجاحظية وهي من الفرق المعتزلة ، لكن الصحيح أن الجاحظ كانت له مواقف عظيمة في مواجهة أعداء الدين والزنادقة، وكتب رسائل مهمة في الرد على اليهود والنصارى والشيعة وغلاة الرافضة وغيرهم.
وقال ابن الخياط : "من قرأ كتب الجاحظ في الرد على المشبهة ، وكتابة الأخبار وكيف تصح وإعجاز النبوة وإعجاز القرآن ، علم أن له في الإسلام عناءً عظيمًا لم يكن الله ليضيعه، ولا يعرف كتاب في الاحتجاج بنظم القرآن وعجيب تأليفه وأنه حجة لمحمد على نبوته أفضل من كتب الجاحظ"

هذه أبرز ملامح شخصية سيد النثر العربي الثقافية في كتاباته ، وله من الكتب الكثير ، ولم تصل إلينا جميعًا ،
ومن يقرأ في فهرست ابن النديم يجد أنه دون أكثر من 170 كتابًا ورسالة في حين لم يصلنا منها إلا اليسير .
وقد عد له ياقوت الحموي أكثر من 120 .
ويقول ابن الجوزي إنه رأى للجاحظ في جامع أبي حنيفة ببغداد أكثر من 360 كتابًا.

ومن المؤكد أنه فقد الكثير الكثير من من الذخائر العربية في شتى العلوم خاصة حينما سقطت بغداد، وعاث التتار فيها فسادًا .
والثابت أن عددًا كبيرًا من كتب الجاحظ قد فقد في لحظة فقدت فيها كثير من ذاكرة الأمة المعرفية والثقافية ، وقد لقيت مؤلفاته شهرة عظيمة في شرق البلاد وغربها.
حتى قيل مرة لأحد الشعراء : "لماذا لا تهجو الجاحظ وقد ندد بك ، أو هددك؟ فقال : أمثلي يخدع عن عقله ، والله لو وضع رسالة في أرنبة أنفي لما أمست إلا بالصين شهرة"

أبرز المؤلفات التي وصلتنا :
1- "البيان والتبيين"
2- "الحيوان" من أضخم كتبه .
3- "البخلاء"
4- "الحاسد والمحسود"
5- "التاج في أخلاق الملوك"
6- "التربيع والتدوير"
7- "تفضيل السودان على البيضان"
8- "الحنين للأوطان"
9- "القيان والجواري" وغيرها من الرسائل المحققة والمتداولة .

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (14)

كتاب البيان والتبيين

رغم وجود خلاف في عدد مؤلفات الجاحظ بين المؤرخين وبعض العلماء القدماء كابن النديم ، وياقوت وغيرهم .
إلا أننا بعيدًا عن العدد نقول : إن الجاحظ قد أنفق حياته وعمره ووقته في الكتابة والتأليف ، وألف عددًا كبيرًا من الكتب ومن المؤكد أن عددًا كبيرًا من كتبه قد فقد ولم يصلنا.

* "البيان والتبيين". وهناك من ينطقها "البيان والتبَيّن" كأحمد أمين .
- أحد أهم الكتب النثرية التي حاولت أن تؤصل وترسخ لمبادئ لغوية وتاريخية وأدبية شعرية تخص الذاكرة العربية بشكل عام.
- كتاب موضوعي موسوعي متنوع ، لكن مادته الرئيسة هي (الأدب) ، إذ فيه يورد الجاحظ نماذج من أشعار ومن مقطعات نثرية ومن خطب ومن رسائل ومن حكم ومن وصايا ومن تاريخ الأمم والملوك ومعلومات مختلفة وقصص وأخبار ، وقصص النساك والوعاظ والمجانين.
ولا يكتفي فقط بإيرادها، فالكتاب موسوعي لكنه قائم على التحليل والتعليل ، وكانت شخصية الجاحظ ظاهرة واضحة ، وقد عرف باستطراداته ، وقيمة مثل هذه الكتب تكمن في قدرة مؤلفها على التحليل واستنباط الأحكام من خلال القصص، أو الأشعار، أو الأحداث التي يوردها.

منهج الجاحظ في كتابه البيان والتبيين :
الجاحظ لم ينتهج منهجًا واحدًا في هذا الكتاب ، وببراعة كبيرة انتقل من النادرة إلى الوصية، من الشعر إلى النثر ....
وقد استطاع أن يحافظ على بناء الكتاب رغم استطراداته ، ويعيدك إلى ما كنت فيه بشكل علمي لا يفقدك المعلومة ولا يقطعها عنك.

قيمة الكتاب :
له قيمتان رئيسيتان :
1- كونه مصدرًا مهمًا للمعرفة بشقها الأدبي للدارسين والباحثين والقارئين .
من خلال اشتماله على عدد كبير من الأخبار والنتف والقصائد والخطب والرسائل والوصيا والقصص والتاريخ ...
2- الدفاع عن العرب والعربية وبلاغتها من الحركة الشعوبية.
الهجمات الشعوبية التي ظهرت في العصر العباسي وتعنى بإعلاء شأن الفرس وتقليل شأن العرب، ومحاولة النيل منهم.
حيث دافع عن العربية وبلاغتها وفصاحتها وعلو كعبها ، وكثير من الذين أتوا بعد الجاحظ نقلوا عنه ذلك ؛ سواء المبرد في "الكامل"، أو ابن قتيبة في "عيون الأخبار" ، أو أبي هلال العسكري في "الصناعتين"، أو ابن رشيق في "العمدة " ، وابن عبد ربه في "العقد الفريد" وغيرهم .
وأثر عن ابن خلدون في مقدمته أنه قال : سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن فن الأدب وأركانه أربعة دواوين هي : "أدب الكاتب"، و"الكامل"، و"البيان والتبيين" و"الأمالي" لأبي علي القالي.

منتقيات من البيان والتبيين :
يقول : "قد يستخف الناس ألفاظًا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع ، والعجز الظاهر، وكذلك ذكر المطر ؛ لأنك لا تجد في القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام ، فالعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث ، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ} [الشورى:28] ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع ، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأراضين ، ألا تراه لا يجمع الأرض أراضين ولا السمع أسماعًا، والجاري على أفواه العامة غير ذلك ، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال"
ويقول : "كانت العرب تخطب بالمخاصر، وتعتمد على الأرض بالقسي ، وتشير بالعصي والقنا حتى كان المخاصر لا تفارق أيدي الملوك في مجالسها"

ويقول: "لما قرأ المأمون كتبي في الإمامة ، فوجدها على ما أمر به ، وصرت إليه، وكان قد أمر اليزيدي بالنظر فيها ليخبره عنها قال لي: قد كان بعض من نرتضي عقله، ونصدق خبره، خبرنا عن هذه الكتب بإحكام الصنعة وكثرة الفائدة ، فقلت: قد تربي الصفة على العيان ، فلما رأيته رأيت العيان قد أربى على الصفة، فلما فليتها أربى الفي على العيان كما أربى العيان على الصفة"
وهنا يفتخر كثيرًا بشهادة الخليفة المأمون لكتبه.

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (15)

كتاب الحيوان

لم يكن "البيان والتبيين" هو الكتاب الوحيد الذي يمثل أهمية في سلسلة منجزات الجاحظ في سياق مؤلفاته، ولكن ثمة كتب أخرى تركت في أذهننا كثيرًا من علامات الدهشة وأعجبنا فيها هذا العمق وهذه القدرة والخبرة والثقافة، والذكاء في الكتابة والتحليل والتعليل والاستنباط والتجريب .

المفارقة الطريفة في كتاب "الحيوان" : أنه يجمع بين العلوم التجريبية علوم الأحياء ، والعلوم الإنسانية الأدبية.

كيف جمع الجاحظ بين هاتين الثنائيتين ؟
كتب العلوم التجريبية في العادة هي كتب جافة ذات معلومات محددة وحادة، بينما كتب العلوم الأدبية تمثل نوعًا من الجمالية والرقة في مادتها من الشعر والنثر وما شابه ذلك .

- كتاب الحيوان سفر علمي أدبي ضخم كتبه الجاحظ في مدة طويلة ، وحاول أن يقترب أكثر من الحيوان ويجري كثيرًا من التجارب عليه ، ويثبت نتائج هذه التجارب في كتابه ، رغم أنه لم يكن عالم حيوان، ولم يكن عالم أحياء، لكنه كان شغوفًا بالمعرفة قادرًا على احتوائها أيًا كان مصدرها.
كان الجاحظ مبدعًا في هذا النقل وقادرًا على أن يمتع ويقنع في آنٍ معًا ، وهذه الخاصية لا تتوافر لكثير من المؤلفين، فلا يستطيعون الجمع بين خاصيتي الإقناع والإمتاع .

- كتاب "الحيوان" من أهم الكتب التي ألفت عن "الحيوان" في العهد القديم ، والجاحظ لم يكن الأول على مستوى الكتابة عن الحيوان ، ونعده صاحب الصدارة على المستوى العربي لكنه مسبوق على المستوى الإنساني بكتب ألفت عن الحيوان في عهد اليونانيين تحديدًا، أبرزها : كتاب "الحيوان" لديمقراطيس ، وكتاب "الحيوان" لأرسطو طاليس ، ذكر فيها من طبائع الحيوانات ومنافعها ، والحاجة إليها ، وعادتها وعلاقاتها ، وترجمها ابن البطريق من اليونانية إلى العربية، وترجمت إلى لغات أجنبية أخرى كالإنجليزية والفرنسية.

جهود ومنجزات كتبت عن الحيوان قبل الجاحظ على المستوى العربي :
- لم نجد منجزا كتب عن الحيوان كتابة شاملة مثل منجز الجاحظ ، فقد كانت المنجزات السابقة عن أنواع محددة من الحيوانات.
فالجاحظ سبق بديمقراطيس اليوناني الذي كتب عن الحيوان ، لكنه لم يسبق في كتاباته عن الحيوان كتابة شاملة لجنس الحيوان بشكل عام ، وليس أجناسا محددة مثل : كتاب "الإبل" ، وكتاب "الطير" للسجستاني ، وكتاب "النحل والعسل" للأصمعي ، وهذه الكتب مفقودة لكنها رويت ، وكانت تمثل بدايات سبقت الجاحظ في الكتابة عن الحيوان ؛ لأنها نهجت المنهج نفسه الذي كان ينتهجه الجاحظ في محاولة التجريب.
- معظم الحيوانات تجدها في كتاب "الحيوان" للجاحظ ، لكن الكتب العربية التي أشرنا إليها كانت تركز على نوع واحد، أو جنس واحد من الحيوانات دون الخوض في التفاصيل ؛ لأن مهمة الخوض في تفاصيل في أنواع الحيوانات كلها تبدوا صعبة ، وتحتاج إلى وقت طويل جدًا، وإجراء تجارب عليها ، ومن خلال الخبرة تنقل المأثور والمتداول والمحفوظ عنها في الشعر أو النثر العربي.
- محاولة الجاحظ في كتابه "الحيوان" تمثل المحاولة الأولى للكتابة عن الحيوانات بشكل عام وليس عن حيوان محدد.
ويعد كتابه المنجز الثاني على المستوى الإنساني بعد كتاب الحيوان لديمقراطيس اليوناني ، وهو مطبوع في سبعة مجلدات .

منهجية الجاحظ في كتابه الحيوان :
الذي يتبادر إلى الذهن مبتدأ الأمر أن الكتاب يمثل محاولات علمية تجريبية بدليل أنه يتحدث عن الحيوان وطبيعته وطرائق حياته ومنافعه وما شابه ذلك من الأمور تختص بعلم الأحياء .
لكن الجاحظ كان أديبًا مثقفًا موسوعيًا ، ولذلك استطاع أن يصبغ الكتاب بالصبغة الأدبية فمع المعلومة الجديدة تحصل على ثروة لغوية واسعة ؛ لأن الكتاب يمزج بين الجانب العلمي والجانب الأدبي اللغوي.
- منهجية الجاحظ في هذا الكتاب تقوم على التجريب .
- في قراءاتنا الإبداعية والشعرية والنثرية لم نكن لنقرأ عن الحيوانات ولم نكن نهتم بهذا ، لكن الجاحظ استطاع أن يلم هذا الشتات بقدرته الموسوعيه فاختصر علينا كثيرًا من الجهد.

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (16)

تابع كتاب الحيوان

كتاب الحيوان في مادته يمثل جانبين :

1- جانب المعلومة التجريبية التي تختص بعلم الحيوان أو علم الأحياء.

2- في كل تجربة ينقل لنا كثيرًا من المأثورات الأدبية مما قيل عن هذا الحيوان.

أبرز المصادر التي استقى منها الجاحظ مادة هذا الكتاب :

1- القرآن الكريم ، وما حفظه من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد حفظ القرآن الكريم منذ الصغر ، مما ساهم في إثراء لغته .

تحدث القرآن عن الجمل وعن البقرة وعن العنكبوت وعن النحل وغيرها ، فنجد كثير من الآيات القرآنية التي تتحدث عن بعض الحيوانات موجودة في كتاب الحيوان ينقلها الجاحظ ثم يعلق تعليقا تحليليا وليس مجردًا .

2- محفوظه الهائل من الشعر العربي.

توقف طويلًا جدًا في المحفوظ الشعري عند الإبل والخيل بوصفهما الأكثر حاجة بالنسبة للعربي، فقد كان يقضي حياته بين ناقته وخيله ، ثم يأتي بعدها الوحشيات كالأسود والذئاب والظباء ...

اعتمد الجاحظ على الشعر كثيرا في هذا الكتاب ، واستطاع أن يجمع أكبر قدر ممكن من النتف الشعرية ، ونقل كثيرًا من نصوص العرب التي تتحدثت عن الحيوانات وصفًا وطبيعة وعلاقة وأحيانًا حبًا وهوى بين هذا الشاعر وناقته ، أو خيله ...

يقول دريد بن الصمة :

وكل لجوج في العنان كأنها إذا اغتمست في الماء فتخاءُ كاسرُ

لها ناهض في الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناءُ عاقرُ

3- كتب الحيوانات اليونانية.

بالذات كتاب "الحيوان" لأرسطو طاليس ، وأيضا كتاب "الحيوان" لديمقراطيس .

اقتبس منها كثيرًا من الأحكام ، وكان يجري التجارب ويتثبت ويتحقق منها ، وكان ينقل ويتوثق ويقف على الأمر بنفسه.

وكان يخشى من عدم الدقة في نقل هذه الأحكام ، ويرجع النقص إلى سوء الترجمة وليس لأحكام طاليس .

لذلك كان يقول في بعض الأحكام الغريبة : "ولعل المترجم قد أساء في الإخبار عنه" ، "فكيف أسكن بعد هذا إلى أخبار البحريين وأحاديث السماكين، وإلى ما في كتاب رجل لعله إن وجد هذا المترجم أن يقيمه على المصطبة ، ويبرأ إلى الناس من كذب عليه ومن إفساد معانيه بسوء ترجمته"

فلم يكن اعتماده على كتب اليونانيين اعتمادًا مجردًا.

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (17)

تابع كتاب الحيوان

4- علم الكلام.

قرأ الجاحظ علم الكلام وتتلمذ على النظام وعلى سعيد بن مسعدة ، وفقه فيه الكثير.

ما علاقة علم الكلام بكتاب الحيوان ؟

المنهجية التي يعتمد عليها علم الكلام كانت تقوم على فكرة المناظرات ، وفي تلك الفترة مع تطور العلم ، أصبح كثير من العلماء يقبل على علم الكلام ، وظهرت مناظرات متعددة حول فضل وأهمية هذا الحيوان على ذاك ، فاستفاد الجاحظ من ذلك نقلا ، فنقل كثيرًا من هذه المناظرات حول فضل الديك ، وفضل الخيل...

لكنه لم يتوقف عند حد النقل ، وإنما كان يتدخل بالتحليل والتعليل والتعليق والاختلاف والقبول ، وقد وفق إلى حد كبير في استثمار علم الكلام داخل كتابه الحيوان ، والكتاب يمثل كما يقول شوقي ضيف معرضًا طريفًا للمنازعات الكلامية والمناظرات المختلفة بين أرباب علم الكلام لاسيما في جزأيه الأول والثاني، فيكثر أن تجد في هذين الجزأين "قال صاحب الديك ، قال صاحب الكلب ..."

بعض الناس في تلك الفترة كانوا ينظرون إلى هذا النمط من علم الكلام، أنه مستنكر وغير مقبول، لكن الجاحظ رد عليهم بقوله:

"وإن قلت وأي شيء بلغ من قدر الكلب مثلًا ، أو فضيلة الديك حتى يتفرغ لذكر محاسنهما ومساوئهما والموازنة بينهما والتنويه بذكرهما شيخان من علية المتكلمين ومن جلة المتقدمة"

حيث إن بعض الناس يرى أن هذا النوع من ضياع الوقت ومن الجدل العقيم ، وهي تمثل على الأقل نصوصًا مهمة فيها ثراء معرفي وقدرة كلامية وقدرة صياغية وأسلوبية .

5- الخبرة الشخصية.

من خلال مشاهداته وتجاربه في الحياة إضافة إلى محفوظه الشعري والنثري .

يقول: "وسمعت حديثًا من شيوخ ملاح الموصل وأنا هائب له ورأيت الحديث المشهور يدور بينهم"

ويقول : "وخبرني من يصيد العصافير"

فقد كان شعبيًا بمعنى أنه ينزل إلى الناس ويأخذ منهم ويستمع إليهم ، رغم دمامة شكله لكنه ذا روح مرحة .

قيمة كتاب الحيوان :

سعة المعلومات والثراء المعرفي الذي احتواه ، يقدم لنا المتعة والفائدة والإمتاع والإقناع بأسلوب مدهش ، ويحتاج إلى أن نقرأه حتى نعرف قيمته .

- في الكتاب أبعاد علمية جغرافية ، وحديث عن العرب ، وتاريخهم ، وطبائعهم ، وحياتهم ، منطلقًا في حديثه عن الحيوانات.

الكتاب مليء بالشعر والنثر ، غزير العلم والمعرفة والثقافة والأدب ، رغم أنه لم يرتب ترتيبًا منهجيًا ؛ لأنه يمثل أولى المحاولات التي تحدثت عن الحيوانات بشكل عام.

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (18)

فن المقامة

الحديث ما زال مستمرًا عن هذه الأعلام التي أثرت في مسيرة النثر العربي في عهد بني العباس، وقدمت كثيرًا من التغييرات والتطويرات والتجديدات في أسلوب النثر العربي الذي كان قبل عصر بني العباس مجرد اجتهادات لم تصل إلى مرحلة النضج التي شهدها النثر في عصر ابن المقفع والجاحظ.

- المقامة نوع نثري عرف في عصر بني العباس على يد اسم شهيرٍ ننسب المقامة إليه : بديع الزمان الهمداني.

تعريف المقامة :

المقامة كما ورد في "لسان العرب" لابن منظور : المجلس ، والجماعة من الناس .

وفي "القاموس المحيط" للفيروز أبادي ، وردت هذه الكلمة عند الجاحظ بمعنى : المحاضرة.

ووردت في "مروج الذهب" للمسعودي بمعنى : المحاضرة أيضا.

مفهومها وجذرها اللغوي يذهب إلى معنى : الموعظة أكثر من ذهابه إلى معنى المحاضرة التي تشمل الموعظة وتشمل غيرها.

في جمع من القواميس العربية نجد أن معنى المقامة مشتقة من معانٍ متعددة أبرزها يقف عند : المجلس ، وجماعة الناس.

وكما يقول مصطفى الشكعة الذي كتب في السرد والقصص العربية كثيرًا، وكتب عن بديع الزمان وأسماه رائد فن القصة العربية والمقالة الصحفية ، حينما حقق المسألة وجد أن المقامة تميل أكثر إلى معنى : الموعظة ، وتطلق على : المجالس المخصصة لعلماء الدين والدعوة والوعاظ ، لذلك اشتهرت المجالس أو المقامات التي كان يستقبل فيها الخلفاء العباسيون وقبلهم الأمويون بعوثهم ورجال الدين ليستمعوا إلى مواعظهم ، وفي القرآن الكريم : {عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا} [الإسراء:79].

والمعنى العام يذهب إلى : المجلس ، أو جماعة الناس في أصلها واشتقاقها اللغوي.

في المنجزات الأخيرة التي تحدثت عن المقامات بوصفها جنسًا سرديًا نجد أن بعضهم مثل :

عبد الملك بن مرتاض يرى بأن هناك تطور في المصطلح : فالمقامة مشتقة من القيام أو من القامة ، وهو اسم مكان للقيام .

وتوسع فيها بعد ذلك وأصبحت بمعنى : المجلس .

ثم تطورت لتكون : الحديث الأدبي .

ثم تطورت لتكون المصطلح الذي نعرفه اليوم بأنه : تلك القطعة الأدبية النثرية التي تقوم في مجملها على فكرة الكدية ولها بطل ولها راوي وتعتمد كثيرًا على السجع ، وعلى استدعاء غريب اللغة ، وتنتهي عادة بنهايات طريفة فيها بعض العبر.

اختلف الباحثون في بدايات المقامات ؟ وهل بدأت على يد بديع الزمان الهمداني ؟ أم أنه كان مسبوقًا إليها ؟ وهل كانت رائدا فيها ؟

1- من يرى أنه تأثر بأحاديث ابن دريد "الأربعون" ، وهي قريبة من فن المقامة .

2- من يرى أنه تأثر بكل ما ورد في تراث العرب النثري من حديث أهل الكدية والكدائين.

الكدية : ذلك الشخص الذي يحاول أن يستدر مالك وطعامك، لكن ليست بالتسول الصريح المباشر، وإنما بنوع من الخبث والدهاء والاستعطاف.

3- من يرى بأنه تأثر بما ذكره الجاحظ عن شخصية خالد بن يزيد .

وهي شخصية تقوم على الكدية بشكل ذكي فيه قدرة لغوية وشعرية عالية ، يرى بعضهم أن هذه الشخصية من اختراعات الجاحظ ، وأن بديع الزمان حينما قرأ ما كتبه الجاحظ اخترع بطلًا لمقاماته وهو الشخصية المشهورة أبي الفتح الإسكندري وكتب المقامات على لسانه .

4- من يرى بأنه تأثر بالحكم التي تنتهي بها قصص ابن المقفع في "كليلة ودمنة" وابن الهبارية في "الصادح والباغم" ، واستفاد منها في صياغة مقاماته .

رغم وجود فارق واضح بين ما كتبه ابن المقفع وابن الهبارية ، وبين ما كتبه بديع الزمان ، فالبديع دائمًا يتحدث عن الكدية ، بينما قصص الحيوانات تدور حول قصص حيوانات فيها من العظة والعبرة .

لكن السياق العام لبناء المقامة ، وبناء القصة على ألسنة الحيوانات قد يكون متقارب ، رغم أنه لا سجع في قصص الحيوانات بينما السجع كان موجودًا ومسيطرا على المقامات ، وغريب اللغة يكثر في المقامات ، ويكاد يتلاشى في قصص الحيوانات ،

لكن البناء العام كان متقاربا ، وهو بناء يقوم على قصة طريفة تنتهي بعظة أو بعبرة، ويكاد يكون موجودًا في مقامات بديع الزمان.

وهذا رأي يحترم لكنه أقل فاعلية من الآراء الأخرى التي تحدثت عن تأثر البديع واحتذائه ابن دريد في حديثه الأربعين أو الجاحظ في حكايات خالد بن يزيد ، أو لكل من كتب عن الكدية والكدائين في التراث النثري العربي.

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

ويمكن أن نتفق على أن بديع الزمان اطلع على شخصية خالد بن يزيد في كتابات الجاحظ، واطلع على أحاديث ابن دريد وتأثر نسبيا فنضجت فكرة المقامات التي رسمها.

ومهما قيل بأن بديع الزمان الهمداني قد قلد ابن دريد، أو قلد الجاحظ أو غيره ، فإننا نعترف بأنه يمثل الريادة الحقيقية لفن المقامة ؛ سواء تأثر بأحاديث ابن دريد أو حكايات خالد بن يزيد ؛ لأن المحاولات قبله لم تأخذ شكلها الناضج .

خصائص المقامات :

1- مصنوعة في أسلوبها بالصناعة اللفظية ذات الاختلافات المتعددة ؛ سواء في الجناس أو السجع وهو الأبرز أو المقابلات. 2- يكثر فيها غريب اللغة. خاصة في مقامات الحريري.

3- تقوم على حدث سردي قصصي، فهي مليئة بالقصص والحكم والمواعظ.

4- بناء المقامة يقوم على شخصيتين : البطل والراوي.

مقامات بديع الزمان بطلها أبي الفتح الإسكندري وراويها عيسى بن هشام ،

ومقامات الحريري بطلها أبو زيد السروجي وراويها الحارث بن همام ، وكلها شخصيات اختلقها وتخيلها البديع والحريري .

5- احتواؤها على الفائدة.

فوائد المقامات لا حصر لها ، ولعل أبرزها الفوائد التعليمية ، واللغوية العالية، وكذلك الاجتماعية.

6- تقوم على فكرة التسول أو الكدية أو الاحتيال وما شابه.

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (19)

تابع فن المقامة

أنموذج من مقامات بديع الزمان الهمذاني "مقامته البغدادية" :

يقول : "حَدَّثَنَا عِيسى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: اشْتَهَيْتُ الأَزَادَ، وأَنَا بِبَغْدَادَ، وَلَيسَ مَعْي عَقْدٌ عَلى نَقْدٍ، فَخَرَجْتُ أَنْتَهِزُ مَحَالَّهُ حَتَّى أَحَلَّنِي الكَرْخَ، فَإِذَا أَنَا بِسَوَادِيٍّ يَسُوقُ بِالجَهْدِ حِمارَهُ، وَيَطَرِّفُ بِالعَقْدِ إِزَارَهُ، فَقُلْتُ: ظَفِرْنَا وَاللهِ بِصَيْدٍ، وَحَيَّاكَ اللهُ أَبَا زَيْدٍ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتَ؟ وَمَتَى وَافَيْتَ؟ وَهَلُمَّ إِلَى البَيْتِ، فَقَالَ السَّوادِيُّ: لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ، وَلَكِنِّي أَبُو عُبَيْدٍ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، لَعَنَ اللهُ الشَّيطَانَ، وَأَبْعَدَ النِّسْيانَ، أَنْسَانِيكَ طُولُ العَهْدِ، وَاتِّصَالُ البُعْدِ، فَكَيْفَ حَالُ أَبِيكَ ؟ أَشَابٌ كَعَهْدِي، أَمْ شَابَ بَعْدِي؟ فَقَالَ: قَدْ نَبَتَ الرَّبِيعُ عَلَى دِمْنَتِهِ، وَأَرْجُو أَنْ يُصَيِّرَهُ اللهُ إِلَى جَنَّتِهِ، فَقُلْتُ: إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلاَ حَوْلَ ولاَ قُوةَ إِلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم، وَمَدَدْتُ يَدَ البِدَارِ، إِلي الصِدَارِ، أُرِيدُ تَمْزِيقَهُ...إلخ"

- نلحظ أنها اعتمدت على السجع في أجزاء متعددة ، حتى إن كلمة بغداد تحولت إلى بغداذ وهو من أسماء بغداد.
ونلحظ فكرة الكدية ، **"الرجل اشتهى الطعام فوجد رجلًا لا يعرفه فأتى إليه ، وزعم أنه يعرفه من أجل أن يأكل".**
نلحظ مخيلة عالية ذات سعة كبيرة في صناعة الأحداث وتخيلها ثم صياغتها من خلال المقامات.

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (20)

المقامة البغدادية لبديع الزمان الهمداني

راوي هذه المقامة : عيسى بن هشام ، وبطلها : أبو الفتح الإسكندري.

سنقف مع مقاطع متعددة من هذه المقامة ونتأملها :
يقول بديع الزمان الهمداني واصفا الطعام : رَقِيقَ القِشْرِ، كَثِيفِ الحَشْوِ، لُؤْلُؤِيَّ الدُّهْنِ، كَوْكَبِيَّ اللَّوْنِ، يَذُوبُ كَالصَّمْغِ، قَبْلَ المَضْغِ، لِيَأْكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيَّاً، قَالَ: فَوَزَنَهُ ثُمَّ قَعَدَ وَقَعَدْتُ، وَجَرَّدَ وَجَرَّدْتُ، حَتَّى اسْتَوْفَيْنَاهُ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا أَبَا زَيْدٍ مَا أَحْوَجَنَا إِلَى مَاءٍ يُشَعْشِعُ بِالثَّلْجِ، لِيَقْمَعَ هَذِهِ الصَّارَّةَ، وَيَفْثَأَ هذِهِ اللُّقَمَ الحَارَّةَ، اجْلِسْ يَا أَبَا زَيْدٍ حَتَّى نَأْتِيكَ بِسَقَّاءٍ، يَأْتِيكَ بِشَرْبَةِ ماءٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ وَجَلَسْتُ بِحَيْثُ أَرَاهُ وَلاَ يَرَانِي أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ، فَلَمَّا أَبْطَأَتْ عَلَيْهِ قَامَ السَّوادِيُّ إِلَى حِمَارِهِ، فَاعْتَلَقَ الشَّوَّاءُ بِإِزَارِهِ، وَقَالَ: أَيْنَ ثَمَنُ ما أَكَلْتَ؟
فَقَالَ: أَبُو زَيْدٍ: أَكَلْتُهُ ضَيْفاً، فَلَكَمَهُ لَكْمَةً، وَثَنَّى عَلَيْهِ بِلَطْمَةٍ، ثُمَّ قَالَ الشَّوَّاءُ: هَاكَ، وَمَتَى دَعَوْنَاكَ؟ زِنْ يَا أَخَا القِحَةِ عِشْرِينَ، فَجَعَلَ السَّوَادِيُّ يَبْكِي وَيَحُلُّ عُقَدَهُ بِأَسْنَانِهِ وَيَقُولُ: كَمْ قُلْتُ لِذَاكَ القَرَدِ، أَنَا أَبُو عُبَيْدٍ، وَهُوَ يَقُولُ: أَنْتَ أَبُو زَيْدٍ، فَأَنْشَدْتُ :

أَعْمِلْ لِرِزْقِكَ كُلَّ آلَـهْ * لاَ تَقْعُدَنَّ بِكُلِّ حَـالَـهْ**
وَانْهَضْ بِكُلِّ عَظِيمَةٍ * فَالمَرْءُ يَعْجِزُ لاَ مَحَالَهْ**

- الصناعة اللفظية في مقامات البديع غالبها لم تكن من النوع المتكلف المصنوع، وإنما كانت تعطي إيحاءات وأبعاد دلالية للمعنى، وهذا ميزها كثيرًا.
- المقامة البغدادية قامت على فكرة الكدية تحديدًا، وجل مقامات البديع ومقامات الحريري تقوم على هذه الفكرة .
- نلاحظ في المقامة : الجانب الاجتماعي والجانب اللغوي.

فالمقامة البغدادية قامت على حدث اجتماعي يعالج نمط من أنماط السلوك الشائعة في المجتمع العباسي وهو فكرة الكدية ، أو الاحتيال على الناس، أو محاولة مخادعتهم بشكل طريف لاستدرار ما لديهم من مال، أو طعام، أو ما شابه ذلك ، وهذا الجانب الاجتماعي تم تطبيقه باللغة الفاتنة التي استطاع من خلالها بطل المقامة القادر على صياغة الألفاظ والتلاعب بالأسجاع أن يغطي على ذهنية صاحبه، أو ضيفه، ويستدرر ما ليديه من مال.

1- التزم المنهج البديعي المألوف في هذا النوع من المقامات من سجع وجناس وقابلة في معظم مفرداتها أو جملها.
2- معتمدة على الحدث السردي، أو القصصي اعتمادًا واضحًا من بدايتها إلى نهايتها .
3- ختمت بأبيات شعرية ، وعادة ما ينهي بها بديع الزمان مقاماته.

- فكرة المكان واضحة جدا من خلال وصفه للبيئة والمدينة والسوق والشارع ، وفكرة الزمان ربما تتوارى نسبيًا.

قد وقفنا على خصائص عامة ومشتركة في المقامات، ونقف الآن وقفة تفصيلية لهذه الخصائص من خلال المضمون والشكل.
المضمون: نعني به الفكرة، أو الحدث أو الرؤيا التي يتضمنها النص أيًا كان.
الشكل: نعني به بناء اللغة ، الصورة ، تنامي الأحداث وتحركها.

- المقامة تمثل اختلافًا جذريًا في بنائها ؛ لأنها لم تكن مسبوقة ولم يعتمد بديع الزمان على نموذج محتذى ، فلا نستطيع أن نقول بأنه احتذى وإنما ابتكر، وهذا الابتكار يحسب لبديع الزمان الهمداني ؛ لأنه استطاع أن يوجد شكلًا جديد من أشكال الإبداع الحرفي العربي إلى جوار الأشكال المعروفة كالقصيدة وكالخطبة... فالمقامة جاءت لتسد ثغرة في الكتابة النثرية في العصر العباسي، وتعطي أبعادًا إنسانية فيها من الطرافة ومعالجة أنواع السلوك الاجتماعي في تلك الفترة ، وهو الأمر الذي لم يكن معهودًا قبل .

الخصائص المضمونية : تختص بموضوع المقامة ، وبأحداثها ، وبشخصياتها ، وبما يدور داخلها من رؤى ومضامين.
الخصائص الشكلية : تعتمد على بنائية المقامة من حيث اللغة والتصوير ، والحركة، و تنامي الحدث.

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (21)

الخصائص المضمونية لمقامات بديع الزمان الهمداني

الخصائص المضمونية للمقامات بديع الزمان :
نتحدث عن الرؤية ، والموضوع ، والشخصية ، والحدث.

1- محاولة تعرية المجتمع ونقده، وكشف أنماط السلوك المجتمعي الشائعة في عصره .
أهم ما يلفت النظر في مقامات بديع الزمان أنه يحاول أن ينقل مجتمعه وعصره ، فهو لا يريد فقط أن يقدم نصًا أدبيًا ممتعًا لكنه يريد أن ينقد المجتمع، ويعري كثيرًا من المشكلات الاجتماعية التي طرأت في العراق ولعل أبرزه ما أراد نقده : الكدية ، فهي من الظواهر الاجتماعية التي انتشرت في العهد العباسي ، وأهم نمط من أنماط السلوك التي قامت عليها المقامات ، فحاول أن يضعها في صور ضاحكة كاريكاتورية ليقترب منها المتلقي.

نجده يستخدم الكدية بأساليب مختلفة ، فأحيانًا ينزل إلى الشارع في الليل ، يريد من الليل أن يكون أدعى للضيافة ، ومعروف لدى العرب أن الضيف حين يأتيك ليلًا، فإن إكرامه ومحاولة احتوائه من الأمور البديهية ، ولذلك نجده يطرق ليلًا ، يحاول أن يخدع الناس ببعض وسائله كما في "المقامة الجرجانية" التي نجد فيها أبو الفتح الإسكندري بطل المقامة يشتكي من فقره ومن كثرة عياله إلى درجة مضحكة ، وهذا الأمر ينطلي على من يشتكي إليهم فيعطونه العطايا ويصدقونه .

ليست الكدية هي الموضوع الوحيد الذي أفردت له مقامات بديع الزمان وإن كانت هي المسيطرة على معظمها ، وإنما كتب في موضوعات متعددة أبرزها في "المقامة الجاحظية" التي أفردها للحديث عن الجاحظ وعن أسلوبه منتقدا بعض سمات كتابته مثل الاستطراد ، فالجاحظ معروف باستطراداته ، كذلك ينتقد عليه عدم اعتنائه بصناعة لغته ، والمقامة قائمة على الصناعة والزخرفة اللغوية بينما الجاحظ كان بعيدًا عن هذا ، فقد كان بديهيًا مسترسلًا طيعًا في لغته.

وهناك مقامة أخرى للبديع يخصها للنقد الأدبي في عهده ، حيث كانت هناك صراعات على مستوى النقد الأدبي.
مدرسة الصنعة ومدرسة الطبع وأيهما أولى؟ وأيهما أجدر؟ وهو في مدرسة الصنعة ، وأفرد مقامة خاصة يريد أن يثبت أنه قارئ ومطلع ولديه دراية بالنقد الأدبي، ولا شك أن لديه من الخبرة ومن القدرة على الصياغة وفهم أبجديات النقد الأدبي.

نجد أن بديع الزمان في مقاماته يمثل فكرة التعليم ، فلديه جانب تعليمي يعطيك الأسئلة ويكشف لك الإجابات ، كما في "المقامة العراقية".
- مسألة الكدية ، ومسألة النقد الأدبي ، ومسألة التعليم بشكل عام هي من الخصائص الواضحة في مضامين بديع الزمان.

2- حضور الأغراض الشعرية.
نجده في "المقامة الحمدانية" ، فقد حاول بديع الزمان أن يبين وجهة نظره من خلال الأغراض الشعرية التي حضرت في المقامة الحمدانية ، حينما حضر عيسى بن هشام مجلس سيف الدولة وصادف وجود البطل أبو الفتح الإسكندري داخل هذا المجلس ...

3- الوعظ.
وهو ما نراه بشكل ظاهر في "المقامة الأهوانية ، والمقامة الخمرية ، والمقامة القزوينية" في محاولة إعطاء قيم إصلاحية دينية.

- كثير من الظواهر الاجتماعية والنفسية والدينية والعلمية عالجتها مقامات بديع الزمان، وحاول من خلال بطله وراويته وأحداثه أن يقدم خلاصة تجاربه وآرائه في مثل هذه الظواهر وتلك القيم الاجتماعية.

الخلاصة :
أن الموضوع الأكثر حضورًا في مقامات بديع الزمان هو نقد السلوك الجتماعي "الكدية" ، لكن تأتي جوانب أخرى في مضامين مقامات بديع الزمان أبرزها : النقد الأدبي ، نقد أسلوب لدى الجاحظ ، الجانب التعليمي بالأسئلة المحيرة والألغاز ، الجانب الوعظي الإرشادي ، الأغراض الشعرية.

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (22)

الخصائص الشكلية لمقامات بديع الزمان الهمداني

الخصائص الشكلية "الفنية" :

الخصائص الشكلية هي نفسها الخصائص الفنية ؛ لأن البناء واللغة هما معتمد الشكل في أي نص أدبي.
النص الأدبي في أصله لغة يفجرها المبدع ، ويقدم لنا الرؤية أو المضمون ، وتظل اللغة هي الرهان الأساسي لكل نص أدبيٍ إبداعي.

1- شخصيات المقامة .

البطل : وهي الشخصية الرئيسة الأكثر تحركا وحضورًا في المقامة ، ويمثلها : أبو الفتح الإسكندري.
الراوية : وهي شخصية منتزعة من الأدب الشعبي ، تمثل تكميلًا وتميمًا لشخصية البطل أبو الفتح الإسكندري ، يفتتح المقامة ويختتمها غالبا ، ويمثلها : عيسى بن هشام .
وهما شخصيتان متناسقتان ومتناغمتان مع بعضهما البعض ، مؤسستان لبناء المقامة، وهناك شخصيات أخرى فرعية تسهم في تحريك وتنامي الأحداث، كشخصية السوادي الذي تعرض للمكيدة، أو الخداع، وشخصية الشواء الذي باع الطعام .

2- الرحلة في بناء المقامة.

فكرة الرحلة والاغتراب هي أساس في بناء المقامة ، ولذلك نجد أن شخصية البطل من الشخصيات التي تسافر دائمًا ، وتعتمد على مبدأ الرحلة أو الاغتراب، تنتقل من مدينة إلى مدينة في محاولة طلب الرزق بالطرق التي ذكرناها ، ولذلك نلحظ أن كثيرًا منها سميت بأسماء المدن التي زارها البطل كالمقامة "الخرسانية" ، والمقامة "العراقية" ، والمقامة "البغدادية" .

3- العنصر السردي أو القصصي.

من يقرأ المقامة يجد أنه يقرأ شكلا من أشكال القصة القصيرة ، وهذا العنصر السردي أو القصصي هو الذي يؤسس للمقامة .
من العناصر المميزة لفن القصة القصيرة : الحبكة والزمان والمكان ، والحبكة تحديدًا نجدها ظاهرة في مقامات بديع الزمان.
تبدأ الحبكة بشكل بسيط وتحاول أن تعالج فكرة واحدة ثم تتركب وتتعقد أكثر إلى أن تصل إلى ما يسمى بالعقدة ثم تنفرج والانفراج عادة يكون عند الراوي حينما يعلق أو يختم بأبيات شعرية .

4- الحوار .

يشكل عنصرًا هامًا في بناء الشخصية ، وشخصية أبي الفتح قامت أصلًا على فكرة الحوار والمناظرة .
نجد أن البديع يعتمد عليه اعتمادًا كبيرًا، ويحاول دائمًا أن يلائم و يناسب بين الحوار وبين موقف البطل وموقف الشخصية وموقف الحدث بشكل عام دون أن يغرق في تفاصيل الحوار من أجل أن يبني الشخصيات بشكل واضحٍ ومباشر.
وفي الإجمال الحوار حاضر كما هي الشخصية ، كما هي الحبكة ، كما هو المكان.

5- المكان .

المكان حاضر بتفاصيله ، ونجد أن البديع يركز عليه كثيرًا ، ونلحظ أن عيسى بن هشام يصف المكان بأبعاد دلالية عن المكان :
مدينة بغداد في حي كذا ، في شارع كذا ، في محل كذا .
أما الزمان فلا حضور له إلا على مستوى بسيط جدًا كالليل والنهار، لكنه مفقود بمفهومه الواسع الكامل .

6- الدراما.

الدراما داخل المقامات يسميها أحمد أمين بـ "المناكاة" ، وهي مأخوذة من النكاية ،
الدراما تحدث حينما يحاول البطل أن يخدع صاحبه، أو يسرقه، أوما شابه ذلك.

- مقامات البديع تمثل تجربة ناضجة ومميزة في تاريخ النثر العربي، واستطاع بديع الزمان أن يخترع لنا طريقة جديدة في القصص يوظف فيها عناصر الطرفة والخيال والدراما بشكل مختلف في تاريخ الكتابة العربية.

- المقامة نص قصصي مكتمل العناصر، يتميز بالطرفة، والثروة اللغوية، والصناعة اللغوية ، والفائدة المضمونية ، والقدرة على معالجة أدواء المجتمع ، أو ظواهر علمية نقدية.

تنبيه : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (23)

من هو بديع الزمان الهمداني ؟

نقترب منه أكثر كما اقتربنا من الجاحظ وابن المقفع، الشخصيات التي تمثل قممًا مهمة في تاريخ النثر العربي في العصور قاطبةً ، وفي العصر العباسي خاصة .

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمداني، وهو ابن همدان المدينة المعروفة في الشرق الإسلامي ، ولد سنة 358هـ في منتصف القرن الرابع ، ونلاحظ أن اسمه يتطابق مع اسم الشاعر الكبير المتنبي أحمد بن حسين.
مدينة همدان من المدن التي اشتهرت بفصاحة أهلها وحسن منطقهم ، وسرعة بديهتهم ، وخفة روحهم.
كان بديع الزمان عربيا متعصبا للعروبة ، معتدًا بذاته ، موسوعيًا مثقفًا قارئًا شغوفًا باللغة العربية وبغريبها تحديدًا، وكانت قراءته منذ صغره لغوية خالصة ، واشتهر وعرف بذلك حتى أصبح كثير من أهل همدان يتحاكمون إليه في خلافاتهم اللغوية.

العوامل المؤثرة في شخصية بديع الزمان وفي كتاباته بشكل عام :

1- شدة حساسيته واعتداده بنفسه.
كان شديد الحساسية سريع الغضب معتدًا بنفسه، وهذه الأمور أسهمت في تكوين شخصية قوية قادرة على أن تواجه الضغوط، ولذلك يقول البديع في بعض كلامه : "إن كنت لا تهاب سلطان العلم ؛ فاعلم أن سلطان العلم لا يهابك، وإن اتصلت بأسباب السماء أسبابك"

2- سعة ثقافته.
هذا أمر لا خلاف عليه إطلاقًا ، وهذه الثقافة أسهمت إسهامًا مباشرًا في أن يكتب هذه المقامات بهذه العقلية على تعددها، فهي مختلفة المشارب والموضوعات، تعالج أحيانًا المساوئ ، أو الظواهر الاجتماعية، وموضوعات تخص النقد الأدبي، وموضوعات تخص اللغة، وموضوعات تخص الشعر وأغراضه ، وموضوعات تعليمية عامة.
وقد ثقف ثقافة عربية عالية، وكذلك ثقف ثقافة فارسية ؛ لأنه عاش في منطقة الشرق ، وتعمق في الأدب الفارسي .

3- كونه عاش في عصر الفردوسي صاحب ملحمة الشهنامة .
وهي ملحمة فارسية مشهورة أراد صاحبها أن لا يستعمل فيها لفظة عربية من باب التعصب للفارسية وبروز النزعة الشعوبية ، وهذا الأمر عاد بردة فعل إيجابية لدى بديع الزمان الهمداني ، وعزز كثيرًا من انتمائه إلى عروبته .

4- كونه نشأ في أسرة عربية عالمة .
هذه الأسرة العربية عززت من انتمائه وحبه اللغة العربية والاطلاع.
تروي أخبار التاريخ أن بديع الزمان كان له أخ أكبر هو مفتي همدان في تلك الفترة ، وقد تتلمذ على يد عالم اللغة المشهور ابن فارس وعلى يد الفراء وغيرهما من علماء اللغة العربية.

5- هجرته إلى أصبهان واتصاله بالوزير الصاحب ابن عباد.
هذه الهجرة كانت فرصة تاريخية لبديع الزمان ، حيث أصبهان المشهورة بجمالها وحسن طبيعتها ، ثم اتصاله بالصاحب بن عباد المثقف والناقد والعالم المشهور وزير بني بويه .
هذا الاتصال أثر تأثيرًا مباشرًا في شخصية بديع الزمان وفي كتابته؛ لأن مجلس الصاحب كان مجلس علم وأدب وشعر وثقافة وفكر .

6- انتقاله إلى مدينة جرجان .
التي أنجبت لنا أحد أهم أفذاذ البلاغة العربية الإمام عبد القاهر الجرجاني صاحب "الدلائل والإعجاز" ، والقاضي الجرجاني صاحب "الوساطة بين المتنبي وخصومه" ، حيث التقى هناك بعدد من العلماء، ودخل في خصومات متعددة مع بعض الشخصيات بالذات شخصية الخوارزمي الذي التقاه في نيسابور، وكتب عنه مقامات متعددة حاول فيها أن ينال منه.

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (24)

وفاة بديع الزمان

وفاة بديع الزمان الهمداني :

توفي بديع الزمان سنة 398 هـ ، واختلف في سبب موته فقيل :

أ- مات مسمومًا

ب- أغمي عليه فظنه الناس ميتًا فدفنوه ، لكنه استيقظ وسمع صوته ، ولم يستطع أن يخرج حتى توفي .

وقيل غير ذلك .

وفي المجمل توفي في أواخر القرن الرابع سنة 398 هـ ، وترك لنا ذخيرة ثرية ضخمة من الإبداع في رسائله وشعره، لكن مقاماته كانت من أبرز منجزاته التي تفرد بها ، ومن أتى بعده اعترف بالفضل له وقلده .

وقد شاعت مقاماته رغم أن الذين أتوا بعده كانوا أكثر على مستوى الكتابة ، وكان لديهم من الشهرة كالحريري ما ليس للبديع ، لكن بقيت مقامات البديع هي الأشهر والأبرز في التاريخ العربي؛ لأنه نسجها بشكل محكم مبتكر، واستثمر الصناعة والزخرفة اللغوية بشكل معتدلٍ إلى حدٍ بعيد دون أن يغرق في تفاصيلها ، وأحدهم لم يستطع فعلًا أن يصل إلى ما وصل إليه البديع بهذه القدرة الكبيرة إذ إن مقاماته كانت ذات قيمة على مستوى اجتماعي في تعرية المجتمع، ومحاولة نقد بعض أنماط السلوك الاجتماعي ، وفي مسألة الكدية والاحتيال والغش وما شابه ذلك ، وفي ثقافته ولغته العالية.

- مقامات بديع الزمان تقوم في غالبها على فكرة الكدية .
- فكرة البناء العام للمقامة : وجود راوية وبطل ، وهذه البنائية الخاصة من ابتكارات بديع الزمان، والذين أتوا من بعده قلدوه.
- استطاع البديع أن يؤلف شخصية مزدوجة تستطيع أن تمتع وتقنع، وتقدم أشياء طريفة في مقابل استثماره للغة العربية بغريبها ونادرها وبالمألوف وغير المألوف منها.
- يحضر المكان في المقامة بشكل ظاهر ، وتظهر الحبكة العالية التي صاغها بديع الزمان من خلال راويته عيسى بن هشام في كثير من الأحداث التي تتوالي إلى أن تصل إلى مرحلة تتعقد فيها الأمورحين ينسل أبو الفتح الإسكندري ويترك صاحبه الذي خدعه يتركه وحيدًا ليواجه مطالب الشّواء صاحب المحل بأن يدفع له وهو خال من المال فيضطر الشواء إلى أن يضربه بقدر ما أكل ، وأبو الفتح يراقبه من بعيد ، وهنا يأتي عيسى بن هشام ليعطي هذه القفلة التي يختم بها مقاماته، وهي مجموعة من الأبيات الطريفة التي يكتبها بديع الزمان إضافة إلى قدرته العالية على كتابة النثر ، فهو شاعر لديه من النصوص الشعرية العالية وإن كانت مصنوعة في معظمها .

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (25)

المقامات بعد بديع الزمان

أين ذهبت المقامات بعد البديع ؟ وما الذي حل بها ؟

- المقامات لم تكن في حقيقتها صناعة لفظة وتكلفًا لغويًا ، فالمقامات التي كتبها بديع الزمان كانت نماذج أدبية عالية ورفيعة ، وصحيح أن السجع سيطر ، وهذا ركن من أركان بنائها ، وقد تحدثنا عن خصائص المقامات لدى البديع ، وخصائص المقامات بشكل عام ، وقلنا أن الصناعة اللفظية تدخل فيها بشكل واضح ومؤثر خاصة السجع ، أو التجنيس ، أو المقابلات اللفظية.

فالسجع والتجنيس وغيره من البديعيات ليس بالضرورة أن يكون سلبيًا دائمًا، فحين يتم استثماره بشكل فإنه يخدم النص ويعطي ملمحًا إيجابيًا ، بخلاف ما إذا كان متكلفا .

- الحديث عن المقامات ووصفها بأنها مجرد صناعات لفظية وتكلف لغوي غير صحيح في إجماله ، مع وجود بعض التجارب بعد بديع الزمان اعتمدت كثيرًا على الصناعة ، وكان هدفها الأول هو الزخرفة اللغوية واستعمال القدرات والمهارات اللغوية ، بينما لم يكن بديع الزمان يهدف إلى هذا الأمر في المقام الأول ، فقد كان هدفه تعرية كثير من الظواهر، وأن يستعمل قدراته العلمية إضافة إلى قدراته اللغوية والنقدية .

لكن التاريخ يحفظ اسمًا مهمًا "الحريري" جاء بعد البديع ، وأثبت قدرته من خلال خبرته اللغوية العالية جدًا ، رغم أنه تكلف كثيرًا كثيرًا، لكنه استطاع أن يثبت قدرة مختلفة.

*** الحريري .**

كانت لدي الحريري قدرات هائلة ، ومحفوظ ضخم من الشعر والنثر، فهو مثقف موسوعي أيضا ، حاد الذكاء ، يستطيع أن ينجز مقامات عالية ، لكنه كان يتكلف كثيرًا، وكان هدفه لغويًا أكثر من كونه معرفيًا أو اجتماعيًا، ولذلك مقاماته فيها من الذخيرة اللغوية شيء كبير يفوق ما في مقامات البديع ، لكن أثر الكلفة والصناعة والتصنع بدا ظاهرا في مقامات الحريري ، كما هي رسائله وقصائده الشعرية التي كان يصنعها ليستعرض قدراته على الصياغة.

وكان يكتب قطعة أدبية لا نقط فيها ، وفي المقابل يكتب نصًا آخر كل حروفه منقوطة وهكذا ، وهذه الأمور تدل براعة وإلمام باللغة ، لكن فيها من التصنع والتكلف الشيء الكثير، لذلك يعد الاسم الثاني بعد البديع في المقامات .

- الذين كتبوا في المقامات بعد بديع الزمان وقلدوه ليسوا بقلة ، فلدينا أكثر من أربعين مقامة لأربعين كاتبًا.
- المقامة لم تتطور بعد بديع الزمان في بنائها وفي أسلوبها وفي لغتها وفي تركيبها ربما ؛ لأن البديع استطاع أن يلم بها جيدًا ، فالذين أتوا من بعده كانوا عالة عليه ، متأثرين به ، لم يعطوا ولم يقدموا شيئًا ذا بال، ولذلك يقال : المنهج البديعي في كتابة المقامات نسبة إلى بديع الزمان الذي يمثل الريادة في كتابة المقامات.

المقامات بعد بديع الزمان منهجان أو اتجاهان :

أ- المنهج البديعي : وهم الذين أتوا بعد بديع الزمان ، واحتذوا طريقته وقلدوه بشكل مباشر، وقد اشتهرت مقاماتهم أكثر من المدرسة الأخرى.

أبرز تلامذة بديع الزمان الذين ساروا على منهجيته ووفق مدرسته :

1- الحريري، أحد أشهر كتاب المقامات على الإطلاق .

مقامات الحريري سارت على الخط الذي سار عليه البديع وتمثل وحدها مدرسة أخرى لا تقل أهمية عن مدرسة البديع إلا في تكلفه.

2- ابن نباتة السعدي ، ولد قبل البديع، لكنه لم يكتب مقاماته إلا بعده ، وتوفي في بدايات القرن الخامس 405 هـ .

3- الزمخشري ، له مقامات مشهورة

4- أبو القاسم بن ناقيه ، ولديه مقامات مشهورة.

والحريري أفضل هؤلاء على الإطلاق، وأقربهم إلى بديع الزمان لولا تكلفه كثيرًا في الصناعة اللفظية.

ب- مقامات مختلفة الأساليب والطرائق.

لدينا عدد كبير من المقامات التي كتبت بأساليب وطرائق مختلفة وموضوعات متعددة ، ومعظم هذا النوع من المقامات لم يعش طويلًا في ذاكرة التاريخ الأدبي ، ربما لأنها لم تستطع أن تثبت طرافتها أو قيمتها اللغوية .

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

من المقامات الأدبية التي جاءت بأشكال مختلفة :

جلال الدين السيوطي : له مجموعة من المقامات ، ليس له راوية ، متعدد الأبطال ، مقاماته تقتصرعلى الحديث عن النباتات، فهو يمثل شكلا آخر من أشكال المقامة التي اعتدنا عليها ، فنجد أنه مختلف على مستوى الراوي ، والبطل ، والموضوع .

هناك من تكلف في عد بعض النصوص أنها من أشكال المقامات :

عبد الملك مرتاض يذكر أن ما كتبه ابن قتيبة المتوفى في أواسط القرن الثالث 276 هـ عن حديث الزهاد والوعاظ يقترب من المقامات.

كذلك ما كتبه ابن عبد ربه المتوفى في القرن الرابع سنة 128 هـ.

- المقالة اليوم قد ماتت إلى حد بعيد ، بسبب عدم الاكتراث بالصناعة اللغوية والسجع ، وحل محلها القصص القصيرة التي لها قدرات لغوية عالية ، لكن ما كتبه البديع والحريري وغيرهم سابقا ظل حيًا إلى اليوم .

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (26)

النثر في العصر العباسي

تحدثنا سابقا عن أبرز اعلام النثر العربي في العصر العباسي : ابن المقفع ، والجاحظ ، بديع الزمان الهمداني ، ومن الأعلام انطلقنا إلى الظواهر والخصائص ، فود تحدثنا عن النثر في العصر العباسي بشكل خاص، والآن نتحدث عنه بشكل عام.

الحديث عن النثر في العصر العباسي يبدو صعبا ؛ نظرا لطول هذا العصر ، فقد بدأت سنة 132 هـ ، وسقطت سنة 606 هـ .
تجمعت لدينا أسماء نثرية كثيرة ، وخصائص عديدة للنثر في هذا العصر ، ونعود مرة أخرى لنتحدث عن أهم أعلام النثر في العصر العباسي بشكل عام .

اجتهدنا في تقسيم مدارس النثر في العصر العباسي إلى أربع مدارس أو طبقات ، كل مدرسة وخصائصها ومميزاتها الأسلوبية .
وهو تقسيم اجتهادي نحاول من خلاله أن نقارب ونجعل النثر بسماته المختلفة مرتبًا ومنظمًا على شكل مدارس متعددة ، وهذا الأمر يفيدنا على مستوى التنظيم الأكاديمي ، فلدينا عدد كبير من كتاب النثر ، وعدد كبير من علماء اللغة الذين اشتهروا بكتاباتهم التأليفية، ويصعب علينا أن نلم بهم جميعًا لكننا نحاول أن نجتهد في ضمهم إلى اتجاهات معينة .

الخصائص العامه للنثر في العصر العباسي يمثلها أربعة مدارس :

أ- مدرسة عبد الله بن المقفع أو مدرسة "كتاب الدواوين الرسمية" .

أبرز تلامذتها : الحسن بن سهل ، وعمرو بن مسعدة ، وسهل بن هارون ، والحسن بن وهب.

خصائصها : تتميز بالقدرة على التنويع في الكتابة ، تنويع العبارات ، تقطيع أو قصر الجمل ، توخي السهولة ، البعد الغرابة أو الغموض ، الاهتمام بتوضيح المعنى والعناية به ، الابتعاد عن الصناعة اللفظية كالسجع وغيره.

ب- مدرسة الجاحظ .

خصائصها : تتميز باعتنائها الكبير بالأسلوب والصياغة، وبقدرتها على مزج الجد بالهزل ، وبكثرة الاستطراد ، كثرة الجمل الاعتراضية ، والإطناب والتحليل.

أبرز تلامذتها : الصولي ، ابن قتيبة ، أبو حيان التوحيدي صاحب **"الإمتاع والمؤانسة"** من الكتب المهمة في نثر العصر العباسي.

ج- مدرسة ابن العميد.

وابن العميد إمامها ، أحد أهم كتاب النثر العربي قاطبة ، ويقال : "إن الكتابة بدئت بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد"

أبرز تلامذتها : الصاحب بن عباد ، بديع الزمان ، الثعالبي ، الخوارزمي.

خصائصها : تتميز بالصناعة اللفظية المعتدلة كالسجع ، وبالثقافة الواسعة ، وكثرة التشبيهات والتخييلات والاستشهادات والتضمينات .

د- مدرسة القاضي الفاضل.

أحد أكثر كتاب الترسل في تاريخ النثر، وكتاب الصناعات اللفظية والزخرفة اللغوية الذين أغرقوا فيها.

أبرز تلامذتها : ابن الأثير ، العماد الأصفهاني ، الحريري .

خصاصها : مدرسة الترسل ، أو مدرس الإغراق في المحسنات البديعية والصناعة اللفظية ، وعدم الاهتمام بالمعنى ، تحولت الكتابة فيها إلى صناعة منمقة ، وأساليب تعبيرية مزخرفة أكثر من اعتنائها بالمعاني وبالرؤى التي يتضمنها النص النثري.
الكتابة فيها ممتعة ، لكنها لم تقدم فوائد على مستوى القيمة والتعبير، إنما كانت أقرب إلى الصناعة اللفظية الخالصة .

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (27)

تابع النثر في العصر العباسي

تنوعت المدارس في العصر العباسي ؛ نظرًا لطول العصر و تنوع وتطور حركة النثر في هذا العصر ، فعاد ذلك بقيمة عالية ، واختلفت وتنوعت خصائص الكتابة وأساليب الصياغة ، وعكست لنا حراكًا كبيرًا في العصر العباسي .

- الكتابة الديوانية التي اشتهرت في عهد ابن المقفع في بدايات العصر العباسي بأسلوبها وبنمطها وبطريقة تعبيرها، قد توارت تمامًا في نهاية العصر العباسي .

- النثر العربي لم يصل إلى مرحلة نضج وتألق وتنوع في مستوياته وأنماط تعبيره وأعلامه كما وصل إليها في عصر بني العباس وتحديدًا في الشطر الأول ، الذي شهد ولادة أئمة النثر العربي كالجاحظ والتوحيدي وعبد الله المقفع وبديع الزمان الذي عاش في النصف الأخير من الدولة العباسية.

وهذا لا يعني أن هذه الأسماء هي الأسماء الوحيدة في عالم النثر في العصر العباسي ، وإنما كان العصر العباسي غنيًا بالمبدعين في كتابة النثر.

اخترنا ثلاثة من أعلام العصر العباسي في نثره تحديدًا ووقفنا بالتفصيل حول منجزاتهم وحول خصائص كتاباتهم.
فابن المقفع يمثل الطبقة الأولى ، والجاحظ يمثل الطبقة الثانية ، وبديع الزمان يمثل الطبقة الثالثة.
ولم نقف مع الطبقة الرابعة ؛ لأن منجزها كان أقل من حيث المستوى إذا قورن بالطبقات التي سبقتها ؛ نظرًا لعنايتها الفائقة بالزخرفة اللغوية والصناعة اللفظية التي شاعت وانتشرت في فترة ضعف الدولة العباسية.
حتى قيل إن مصطلح "عصر الجمود والانحطاط" ينصرف إلى ضعف الكتابة الإبداعية والتأليفية في تلك الفترة.

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (28)

فن التوقيع

- موضوع مثل ظاهرة من ظواهر النثر في العصر العباسي، وأفردناه بالحديث متأخرًا ؛ لأنه لم يرتبط بكاتب معين أو بمدرسة معينة. فلم يكن كأسلوب القصص على ألسنة الحيوانات ، ولم يكن كأسلوب الإقناع والتحليل المبني على مزج الجد بالهزل ، ولم يكن منتميًا إلى المقامات ، وإنما كان قاسمًا مشتركًا بين الكتاب خاصة الكتاب السياسيون الذين عنوا بالكتابة الديوانية ، واشتهر به عدد كبير من خلفاء بني العباس .

- التوقيع حينما نطلقه الآن ينصرف الذهن إلى مفهوم عصري نستعمله اليوم ، وهو : تلك العلامة البارزة التي يسجل فيها الكاتب شخصيته على ورقة ما من خلال شفرة أو كلمة سر خاصة بالكاتب ، لكن التوقيع في حقيقته حينما بدأ في عصور متقدمة يقصد به شيء آخر .

أصل كلمة "توقيع" : مأخوذة من الواو والقاف والعين، مصدر للفعل "وقع" ، مضعف في عينه.

التوقيع في اللغة كما يقول ابن منظور وعلماء اللغة : مأخوذ من "وقعت الإبل" أي اطمأنت بالأرض بعد أن ترتوي بشرب الماء .

أما المفهوم الاصطلاحي الأدبي للتوقيع : تلك العبارات المكثفة في معناها والقصيرة في لغتها أو حروفها ، يلخص فيها الكاتب أو الخليفة موقفه في قضية ما ، يذيل به الخطاب أو المرسوم أو ورقة ما .

وهو فن نثري له صلة بفن الرسائل من حيث مضمونه، لكن لغته يغلب عليها الإيجاز.

هل كانت التوقيعات موجودة قبل العصر العباسي؟

في ذلك قولان :

1- كانت التوقيعات موجودة في الفترة التي سبقت خلافة العباسيين ، فهي ليست من ابتكار العباسيين .

فهناك من يرى أنها ظهرت في العصر الأموي ، وقبلها في عصر صدر الإسلام حين أرسل النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى أحد الملوك : "أسلم تسلم"

كذلك في خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كان يقدم فن التوقيع في بعض خطاباته وتعليقاته على الخلفاء في الفتوح الإسلامية.

لكن استواء هذا الفن على سوقه وتطوره ووصوله إلى مرحلة النضج وشيوعه وانتشاره والاهتمام به كان في العصر العباسي ، الذي شهد عددًا كبيرًا من التوقيعات العالية التي نحفظها ونرددها ونستعملها أحيانًا توقيعًا لكلامنا حتى اليوم .

2- وهناك من يرى أن التوقيع وجد في العصر العباسي تأثرًا بالفرس.

فالحضارة الفارسية بجوانبها المتعددة أدبية ، أو علمية، أو غيرها قد انتشرت وشاعت في العصر العباسي ، وتقارب العرب مع الفرس في تلك الفترة ، بل إن خلفاء بني العباس قربوا بعض الفارسيين واتخذوا منهم ولاة ووزراء وكتابًا.

ونحن نرجح الرأي الأول : أن التوقيعات ظهرت قبل العصر العباسي بحكم وجود نماذج كثيرة أثرت عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وعن خلفاء بني أمية ، والخلفاء الراشدين ، وإن لم تكن مشهورة منتشرة شائعة.

بعض التوقيعات التي أثرت عن الدولة الأموية :

أ- معاوية بن أبي سفيان ، الخليفة الأول من خلفاء بني أمية ، يوقع على رسالة لربيعة اليربوعي ، كتب إلى معاوية يطلبه أن يعينه ببناء دار له بالبصرة ، وطلب منه اثني عشر ألف جذع من النخل كي يبني داره ، فوقع معاوية على طلب ربيعة بقوله :

"أدارك في البصرة ، أم البصرة في دارك ؟".

يستنكر هذا العدد الكبير من جذوع النخل التي يطلبها ، أي : هل تريد أن تبني البصرة في دارك أم تريد أن تبني دارًا لك في البصرة؟

نلاحظ : المفارقة ، العمق، الإيجاز الكبير في التعبير.

ب- عمر بن عبد العزيز ، الخليفة الأموي خامس الخلفاء الراشدين ، حينما طلب منه أحد الولاة دعمه في ترميم مدينة فقال :

"ابنها بالعدل ، وطهر طرقها من الظلم".

وصحيح أنه مشهور عن ولاة الفرس وأمرائهم أنهم كانوا يوقعون بهذه العبارات القصيرة ،

لكن تأثر العرب بالفرس في ذلك أمر مردود وغير مقبول لسببين :

أ- على مستوى التاريخ : فن التوقيعات ظهر لدى العرب قبل أن يتصلوا بالفرس في العصر العباسي .

ب- على مستوى الفطرة العربية : الفطرة العربية العرب في أصلها، أهل إيجاز وبلاغة واقتصاد، وقد أثرت عبارة "البلاغة الإيجاز"

ومن الطبيعي جدًا أن يأتي مفهوم التوقيع الاصطلاحي مناسبًا للعقلية العربية التي تعتمد على الإيجاز و سرعة البديهة.

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (29)

فن التوقيع في العصر العباسي

- فن التوقيعات ظهر في عصر بني أمية بشكل واضح ، لكن انتشاره وتطوره ونضجه كان في العصر العباسي الأول تحديدًا ، وظلت التوقيعات مستمرة وموجودة في العصر العباسي ، لكنها ضعفت بشكل واضح وملحوظ ، وقلت فيها البلاغة والإيجاز ، وكثر فيها التصنع والتكلف ومحاولة الزخرفة الزائدة ، وانخفض فيها المستوى البلاغي والثقافي في الشطر العباسي الأخير .

نماذج من التوقيعات في العصر العباسي :

أ- التوقيع المشهور الذي وقع به الخليفة أبو جعفر المنصور حينما اشتكى إليه والي مصر من نقصان نهر النيل فوقع المنصور بتوقيعه المشهور : "طهر عسكرك من الفساد يعطك النيل القياد".

ب- الخليفة المهدي حينما بعث إليه أحد ولاته يتذمر من أن الرعية لا يطيعونه، فوقع إليه :

{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف:199]. استشهد بالآية القرآنية الكريمة ووقع بها.

ج- توقيع هارون الرشيد الخليفة العباسي المشهور حينما رفع له أحد ولاته في خرسان يتذمر من عدم طاعة الرعية فوقع له :

"داوي جرحك لا يتسع".

كذلك ما وقعه في نكبة البراكمة ، ومعروف أن الرشيد قرب البرامكة ثم انقلب عليهم ، ولذلك وقع توقيعًا مشهورًا :

"أنبتتهم الطاعة ، وحصدتهم المعصية".

وكأنه يقول لأنهم كانوا مطيعين ينتمون إلى الخليفة ويوالونه فقد قربهم وأحسن إليهم، ولأنهم عصوا وانقلبوا فمن انقلب عليهم.

كذلك وقع لأحد ولاته كثرت منه الشكوى : "قد كثر شاكوك ، وقل شاكروك ؛ فإما اعتدلت وإما اعتزلت".

لاحظوا جمالية اللغة في التصنيع البديعي المعتدل غير المتكلف : طباق بين قل وكثر ، وجناس بين شاكوك ، وشاكروك.

*** خصائص فن التوقيع.**

هذا الجنس النثري لم يرتبط باسم كاتب مبدع ، وإنما ارتبط باسم خلفاء بني العباس خاصة العصر الأول تحديدًا .

1- الإيجاز.

لا يوجد توقيع يزيد عن ثلاث ، أو أربع ، أو خمس جمل على الأكثر ؛ لأنه سينقلب إلى نص آخر .

وأحيانًا يكون سوى كلمة ، أو كلمتين، أو ثلاثة .

بهذا الشكل مثلًا التوقيع المشهور مثلًا أيها الوالي "قم قد عزلناك" يعني فيها من التورية، وفيها من فن التوقيع.

2- يكون التوقيع ردًا على رسالة مكتوبة.

وهو الذي أثر في فن التوقيع في الأدب العربي ، فدائمًا ما يكون مكتوبًا ردًا على رسالة مكتوبة.

3- التقسيم المنطقي والبعد عن السجع المتكلف.

4- غالبا ما يكون التوقيع عتابًا، أو سؤالًا، أو استنكارًا.

التوقيع في أصله هو موقف للموقع تجاه الرسالة التي قرأها ، ولذلك يأتي إما سؤالًا وإما استنكارًا وإما عتابًا .

5- يكون غالبا بين الرئيس والمرءوس، بين من هو أعلى إلى من هو أسفل.

6- طبيعة التوقيع ترتبط بالأفعال والحوادث ولا ترتبط الأسماء.

لا تهتم بمن هو المرسل الذي سيوقع الخليفة عنه ، وإنما تعتمد اعتمادًا على المادة التي تضمنتها الرسالة من الأفعال أو الحوادث.

7- يكون أحيانًا جزءًا من آية قرآنية، أو حديثٍ، أو بيت شعري.

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

المحاضرة (30)

خاتمة المنهج

- معظم الأدباء والمبدعين في الفترة المتأخرة من العهد العباسي عنوا بالصناعة اللفظية حتى أصبحت شائعة في المجتمع، ونستطيع أن نقرر أن فن التوقيعات في العصر العباسي الأول يمثل الفترة الذهبية لهذا الفن مع اعترافنا بوجوده في عصر بني أمية.

ونحن بحاجة حقيقية إلى أن ندرس "فن التوقيعات" وهو من المجالات النثرية التي قل أن يهتم بها الباحثون ويستثمروها بشكل جيد، ولذا ندعو إلى دراسة علمية منهجية عن "فن التوقيعات" ، وعن جمالياته ، فمثل هذه الدراسة التي نتمناها ، ربما تكشف أبعادا كثيرة نستطيع أن نستشهد بها عن العصر العباسي .

ذكر الدكتور حمد الدخيل في فن التوقيعات في العصر الإسلامي والأموي والعباسي :

"تعد التوقيعات فنًا أدبيًا من فنون النثر العربي ، تطورت نشأتها وازدهارها بتطور الكتابة، والتوقيع عبارة بليغة موجزة مقتنعة يكتبها الخليفة، أو الوزير على ما يرد إليه من رسائل تتضمن قضايا متعددة كالسؤال والشكوى والطلب، والتوقيع قد يكون آية قرآنية، أو حديثًا نبويًا، أو بيت شعر، أو حكمة، أو مثلًا ، و ما شابه ذلك.."

* أبرز مفردات المنهج .

كان حديثنا عن النثر في العصر العباسي :

- ابتدأنا بمقدمة تاريخية عن العصر العباسي وعن النثر بشكل عام، ثم انتقلنا إلى عبد الله بن المقفع بوصفه أحد أبرز كتاب النثر في العصر العباسي، وتحدثنا عن كتبه ومنجزاته، ومنه انطلقنا إلى الحديث عن ظاهرة كتابة القصص على ألسنة الحيوانات، والذين تأثروا بكليلة ودمنة التي ترجمها ابن المقفع، وتحدثنا عن تاريخ كليلة ودمنة الهندي ثم الفارسي ثم العربي.
- انتقلنا من ابن المقفع إلى إمام النثر العربي الكبير الجاحظ الذي اشتهر بكتاباته الساخرة ذات المستوى العالي من خلال منجزه في "البيان والتبيين"، أو "الحيوان"، أو رسائله المشهورة ، وتحدثنا عن خصائصه التي تميز بها أدبه.
- ثم انتقلنا إلى جنس جديد من أجناس النثر في العصر العباسي وهو المقامات ، وذكرنا تاريخها ، ورائدها الأول الذي خصصناه بحديث مفصل عن حياته، وعن العوامل المؤثرة في شخصيته، وفي كتابته ، ثم ذكرنا الذين تأثروا به : قسم سار على خطه ومنهجه "المنهج البديعي" وقسم اتخذ خطًا آخر مختلف تمامًا .

- بعد حديثنا عن المقامات وخصائصها وسماتها وأعلامها، انتقلنا إلى مدارس النثر في العصر العباسي وخصائص كل مدرسة ، وأبرز أعلامها وأئمتها .

- ختمنا الحديث بفنٍ لم يرتبط باسم كاتب مشهور، ولا كتاب معروف ، وإنما ارتبط باسم خلفاء بني العباس في العصر العباسي الأول وهو "فن التوقيعات" النثرية، وقلنا بأنه فن عربي عرف منذ الدولة الأموية وربما كان قبل ذلك في عهد الخلفاء الراشدين ، ولكن انتشاره وشيوعه واشتداده على سوقه ونضجه كان على يد خلفاء بني العباس في عصره الأول. وذكرنا دعوى تأثر العرب بالفرس فيه ، ودحضناها بدليلين أحدهما تاريخي ، والآخر على مستوى فطرة العرب ، ثم أبرز الخصائص التي اتسم بها فن التوقيعات في العصر العباسي، وصلت إلى سبع.

ما أوردناه في هذه المحاضرات تنبهوا له، وقفوا عنده وقفة معمقة، واتصلوا بالمراجع والكتب الخاصة بالعهد العباسي ، مثل :

"أمراء البيان" محمد كرد علي.

"تطور النثر وفنونه" و "العصر العباسي الأول" شوقي ضيف

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com

انتهيت بعون الله من ملخص شامل للمادة ؛

راجية لي ولكم النفع والفائدة .

***

لا ينسب هذا الملخص إلا لصاحبة المجهود ؛

حفظا للجهود ، ورجاء الدعوات الخاصة ممن استفاد .

وقد توافيكم بنسخ أخرى مطورة –إن تيسر ذلك بعون الله–

***

لا تنسوني من صادق دعائكم !

***

تمنياتي لكم حياة علمية ثرية موفقة

وتحياتي لكم

سمية كمال زلط

تنبية : "المستند مُؤَمَّن" ولا أحلل محاولة فكه لأي غرض ، كما لا أحلل "البيع أو النسخ أو النقل" !
يمكنكم التواصل عبر البريد : i.m.a.m2010@hotmail.com